الهجرة النبوية تزرع الأمل في القلوب

التوحيد

العدد ٦٣٧ السنة الرابعة والخمسون - محرم ١٤٤٦ هـ
الثمن ١٠ جنيهات

وقفة مع النفس

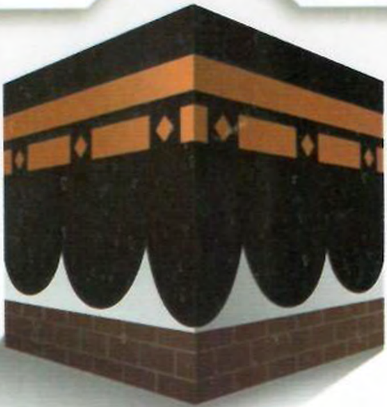

شهر الله المحرم بين السنة والبدعة

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٦٣٧ السنة الرابعة والخمسون - محرم ١٤٤٦ هـ
الثمن ١٠ جنيهات

بسم الله الرحمن الرحيم

رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام على مجلة التوحيد فضيلة الشيخ
أحمد يوسف عبد المجيد

فاعلم أنه لا إله إلا الله

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

الاشتراك السنوي

١- في الداخل سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنويًا.

للتواصل: واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٨٢٣٢

٢- في الخارج ما يعادل ٨٠ دولاراً أو ٤٠٠ ريال سعودى بالجنيه المصري.

السلام عليكم

التعاقد مع مندوبي تسويق وإعلانات

بهدف تطوير المجلة، وتوسيعًا لأنشطتها؛ تقرر إنشاء قسم جديد؛ هو: قسم التسويق والإعلانات بالمجلة.

وعليه، ترغب المجلة في التعاقد مع مندوبي تسويق وإعلانات.

ولذا نرجو ممن يجد في نفسه القدرة، ولديه خبرات في مجال التسويق والإعلان، أن يتفضل بإرسال سيرته الذاتية على الواتساب

رقم ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢

سائلين الله تعالى التوفيق والسداد.

التحرير

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٥١ مجلدًا
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٥١ سنة كاملة

رئيس التحرير:

مصطفى خليل أبو المعاطي

فهرس العدد

شهر الله المحرم بين السنة والبدعة
الشيخ أحمد يوسف عبد المجيد ٢
باب التفسير د. عبد العظيم بدوي ٥
باب العقيدة: مبادئ علم التوحيد د. عبد الله شاكر ٨
عاشوراء بين أهل السنة والشيعة د. أيمن خليل ١٠
السياق وتنوع أوصاف العذاب في القرآن الكريم
د. عبد الرحمن فودة ١٤
النظائر في قراءة القرآن د. جمال المراكبي ١٧
بشارة المؤمنين بزواج حفصة بنت عمر من سيد المرسلين
د. سيد عبد العال ٢١
ثمرات تربوية من الهجرة النبوية الشيخ صلاح نجيب الدق ٢٤
فقه التعامل مع القرآن الكريم أ.د. محمد حامد ٢٧
بنو إسماعيل، وبنو إسرائيل الشيخ إبراهيم حافظ رزق ٣٠
واحة التوحيد د. علاء خضر ٣٢
هم العدو فاحذرهم د. محمد عبد العزيز ٣٤
المفاوز بين أجيال المساجد وأجيال الهواتف أحمد بن سليمان أيوب ٣٧
أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه عبد العزيز مصطفى الشامي ٤٠
قصة الصحابي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مع الأسد
الشيخ علي حشيش ٤٤
درر البحار في ضعيف الأحاديث القصار الشيخ علي حشيش ٤٧
الألفاظ الموهمة في باب الصفات بين الإجمال والاستفصال
أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي ٤٨
الهجر والهجرة والمهاجرة الشيخ صفوت الشوادفي، رحمه الله ٥٢
الهجرة النبوية تزرع الأمل في القلوب الشيخ صلاح عبد الخالق ٥٥
وقفة مع النفس الشيخ عبده أحمد الأقرع ٥٨
من أخلاق الإسلام: كف الأذى عن الخلق
م. محمد ياسين بدر حسين النجار ٦١
من أساليب التربية: التربية بالتشجيع والتحفيز الشيخ عادل شوشة ٦٣

رئيس التحرير التنفيذي:

حسين عطا القراط

الإخراج الصحفي:

أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة

مصر ١٠ جنيهات ، السعودية ١٢ ريالا ، الإمارات ١٢ درهمًا ، الكويت ١ دينار ، المغرب دولاران أمريكيان ، الأردن ١ دينار ، قطر١٢ ريالا ، عمان ١ريال عماني ، أمريكا ٤ دولارات، أوروبا ٤ يورو

إدارة التحرير ||
٨ شارع قولة عابدين- القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس :٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني ||
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

١٢٠٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

شهر الله المحرم
محرم

شهر الله المحرم بين السنة والبدعة

إعداد **الشيخ/ أحمد يوسف عبد المجيد**
الرئيس العام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن الله تعالى يختار ما يشاء كما يخلق ما يشاء: «وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ» (القصص: ٦٨). وقد اقتضت حكمته أن اختار من الشهور الأشهر الحرم: « إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ » (التوبة: ٣٦).

ولا خلاف بين أهل العلم في تسمية هذه الأشهر؛ لما ورد في الصحيحين من حديث أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حرم؛ ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان».

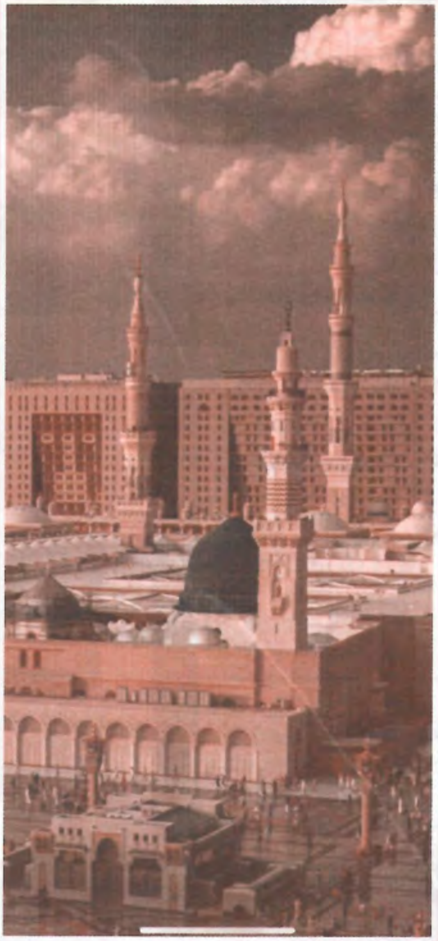

قال ابن كثير: وإنما كانت الأشهر المحرمة أربعة: ثلاث متواليات (سرد) وواحد فرد لأجل مناسك الحج والعمرة، فحُرّم قبل شهر الحج شهرٌ وهو ذو القعدة، لأنهم يقعدون فيه عن القتال، وحرم شهر ذو الحجة لأنهم يوقعون فيه الحج، ويشتغلون فيه بأداء المناسك، وحرم بعده شهر آخر وهو المحرم ليرجعوا فيه إلى نائي أقاصي بلادهم آمنين. وحرم رجب في وسط الحول لأجل زيارة البيت والاعتمار، وها نحن قد ودعنا عامًا بكل ما يحمل من أعمال العباد لنستقبل عامًا هجريًا جديدًا، وأول أشهر العام شهر الله المحرم، وهو أحد الأشهر الحرم.

ومن السُّنة الإكثار من الصيام في شهر المحرم؛ لكونه أفضل الصيام بعد رمضان، لما ورد في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل».

وفي شهر المحرم: يوم عاشوراء، وهو يوم العاشر من المحرم، وقد ورد في فضله ما جاء في الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وجد اليهود يصومون عاشوراء، فسئلوا عن ذلك فقالوا: هذا اليوم الذي أظفر الله.فيه موسى وبني إسرائيل على فرعون، ونحن نصومه تعظيمًا له، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نحن أولى بموسى منكم، ثم أمر بصومه».

وفي رواية مسلم: فقالوا هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه: فصامه موسى شكرًا فنحن نصومه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نحن أحق وأولى بموسى منكم، فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه».

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتحرى صيام يوم فضله على غيره إلا هذا اليوم: يوم عاشوراء، وهذا الشهر، يعني شهر رمضان. وقد ورد في فضل صيام يوم عاشوراء قوله صلى الله عليه وسلم: «أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله» رواه مسلم.

ويصح صوم يوم عاشوراء منفردًا، لما ورد في فضله من أحاديث، كما يستحب للمسلم أن يصوم التاسع معه. لما ورد في صحيح مسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع». وقد أورد الإمام النووي قول بعض العلماء في السبب في صوم التاسع مع العاشر وهو ألا يتشبه باليهود في إفراد العاشر بصيام، وفي الحديث إشارة إلى هذا، وقيل للاحتياط في تحصيل عاشوراء، والأول أولى، والله أعلم.

> **يصح صوم يوم عاشوراء منفردًا، لما ورد في فضله من أحاديث، كما يستحب للمسلم أن يصوم التاسع معه.**

هذا هو هدي النبي صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بشهر المحرم، وهو خير الهدي؛ فبادر يا عبد الله باغتنام الأوقات، فقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية أن سنة إحدى وستين استهلت والحسين بن عليّ سائر إلى الكوفة فيما بين مكة والعراق ومعه أصحابه وقراباته، فقُتل في يوم عاشوراء من شهر المحرم، وزعم بعضهم أنه قتل في صفر منها، والأول أصح.

وعليه فإن الرافضة الشيعة يبتدعون الحزن

في شهر المحرم كله، وهذا الحزن له مظاهر كثيرة، صار الناس يشاهدونها من خلال قنواتهم التي تنشر سمومها بسبّ الصحابة واتهامهم بأقبح ما يمكن أن يوصف به مسلم، فضلاً أن يكون من الصحابة الأطهار.

فمن ذلك لطم الخدود والصراخ والبكاء وإظهار الجزع، بل وإسالة الدماء بضرب الأجساد وجرحها وهم في غفلة عن قوله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح: «ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية». ومن عجب أن منشدي القصائد ورواة الكذب والبهتان يدعون الناس للنياحة وضرب أنفسهم، بينما هم يتظاهرون بالبكاء لا أكثر. وتبلغ البدع مداها بتناول بعض الخطباء قصة مقتل الحسين واعتقاد الكثير أن رأسه مدفونة بمسجده بمصر!!

> **الروافض أخطر على أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من غيرهم.**

كيف والتاريخ شاهد على أنه قتل بكربلاء بالعراق ودفن بها، والطامة فيما يجري عند ما يسمى بضريحه من طلب مدد واستغاثة إلى غير ذلك مما لا يُطلَب إلا من الله تعالى، والإسلام بريء من كل هذه الأعمال التي يباركها شياطين الإنس والجن، وهؤلاء الروافض أخطر على أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من غيرهم، كيف لا وهم يتسمون باسم الإسلام بينما يصفون عليًا والحسين وفاطمة بصفات الألوهية، ويلعنون صباح مساء أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فضلاً عن تكفيرهم لصحابة النبي صلى الله عليه وسلم. ويدّعون العصمة لمن يسمونهم بالأئمة، ويوالون أعداء الإسلام فضلاً عن قولهم بتحريف القرآن بل وعدم وجوده بين الناس، وإنما هو مع إمامهم الغائب هناك في السرداب، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن عجب أن كثيرًا من المسلمين خاصة من أهل القرى يظهرون الفرح والسرور في يوم عاشوراء، ومن مظاهر هذا الفرح التوسعة على الأهل والعيال، حتى كانت بعض البلاد تميز هذا اليوم بذبح بعض الطيور، وكذلك ترى اكتحال الأولاد في هذا اليوم اعتقادًا أن من اكتحل في هذا اليوم لا يرمد.

ولا شك أن كثيرًا ممن يعملون هذه الأعمال يعملونها بجهل، ولا يعلمون أن هذا من أعمال مبغضي أهل البيت رضي الله عنهم، وأهل السنة وسط بين الإفراط والتفريط، والإسلام الذي يرضاه الله هو ما كانت العبادة فيه لله بما شرعه.

قال تعالى: «فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا» (الكهف: ١١٠).

وعلى المسلم أن يوقن أن كل عمل مهما استحسنه الناس ما لم يرد به الشرع فإنه مردود على صاحبه، يأثم بفعله، كما في الصحيح من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

قال ابن حجر (رد): معناه: مردود، وكأنه قال فهو باطل غير معتد به.

فاللهم ارحم علماء السنة الذين بصَّروا الناس وأخذوا بأيديهم من الظلمات إلى النور.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ السَّجْدَةِ

سُورَةُ السَّجْدَةِ

سُورَةُ السَّجْدَةِ

قال الله تعالى: « ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٩) وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَـٰفِرُونَ (١٠) ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ »

(السجدة: ٩-١١).

إعداد د. عبدالعظيم بدوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

حَقيقةُ الشُّكر:

فعَنْ أَبِي حَازم رَحمَهُ الله أَنَّ رَجُلاً قَالَ لَهُ: مَا شُكْرُ العَينَيْنِ؟ قَالَ: إنْ رَأيْتَ بهمَا خَيْرًا أَعْلَنْتَهُ، وَإنْ رَأيْتَ بهمَا شَرًّا سَتَرْتَهُ. قَالَ: فَمَا شُكْرُ الأُذُنَيْنِ؟ قَالَ: إنْ سَمعْتَ خَيْرًا وَعَيْتَهُ، وَإنْ سَمعْتَ بهمَا شَرًّا أَخْفَيْتَهُ. قَالَ: فَمَا شُكْرُ اليَدَيْنِ؟ قَالَ: لا تَأْخُذْ بهمَا مَا لَيْسَ لهمَا، وَلا تَمْنَعْ حَقًّا لله عز وجل هُوَ فيهمَا. قَالَ: فَمَا شُكْرُ البَطْنِ؟ قَالَ: أَنْ يَكُونَ أَسْفَلُهُ طعَامًا وَأَعْلاهُ علْمًا. قَالَ: فَمَا شُكْرُ الفَرْجِ؟ قَالَ: كَمَا قَالَ الله عز وجل: « إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ » (المؤْمنون٦). قَالَ: فَمَا شُكْرُ الرِّجْلَيْنِ؟ قَالَ: إنْ رَأَيْتَ حَيًّا غَبَطْتَهُ اسْتَعْمَلْتَ بهمَا عَمَلَهُ، وَإنْ رَأَيْتَ مَيْتًا مَقَتَّهُ كَفَفْتَهُمَا عَنْ عَمَله، وَأَنْتَ شَاكرٌ لله عز وجل. فَأَمَّا مَنْ شَكَرَ بلسَانه، وَلَمْ يَشْكُرْ بجَميع أَعْضَائه، فَمَثَلُهُ كَمَثَل رَجُل لَهُ كسَاءٌ، فَأَخَذَ بطَرَفه وَلَمْ يَلْبَسْهُ، فَلَمْ يَنْفَعْهُ ذَلكَ منَ الحَرِّ وَالبَرْد، وَالثَّلْج وَالمَطَر (حلية الأولياء ٣/٢٤٣).

وَقَدْ فَصَّلَ رَبُّنَا الأَطْوَارَ الَّتي مَرَّ بهَا الإنْسَانُ منَ الطين إلَى كَوْنه بَشَرًا سَوِيًا، فَقَالَ تَعَالَى: « وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ » (المؤمنون: ١٢-١٤).

إبْطالُ شُبُهات الكَافرين حَوْلَ البَعْث:

لَمَّا قَالَ سُبْحَانَهُ: «قَليلاً مَّا تَشْكُرُونَ» بَيَّنَ عَدَمَ شُكْرهمْ بإتْيَانهمْ بضدّه، وَهُوَ الكُفْرُ، وَإنْكَارُ قُدْرَته عَلَى إحْيَاء المَوْتَى. وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الله تَعَالَى في كَلامه الأول، كلَّمَا ذَكَرَ أَصْلَيْن منَ الأُصُول الثَّلاثَة لَمْ يَتْرُك الأَصْلَ الثَّالثَ، وَهَاهُنَا كَذَلكَ، لَمَّا ذَكَرَ الرِّسَالَةَ بقَوْله: « تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ (٢) أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ »، وَالوَحْدَانيَة بقَوْله:

«اللَّه الَّذي خلق السَّماوات والأرْض في ستَّة أيَّام ثمَّ اسْتوى على العَرْش» إلى قوْله: «وجَعل لكمْ السَّمْع والأبْصار والأفْئدة قليلاً مَّا تشْكرُون» ذكَر الأصْل الثَّالث وهُو الحشْر، بقوْله تعالى: «وقالُوا أإذا ضلَلْنا في الأرْض أإنَّا لفي خلْق جديد» (التفسير الكبير ٢٥/١٤٢):

الواوُ للحال، والحال للتعْجب منْهمْ كيْف أحالُوا إعادة الخلْق وهمْ يعْلمون النَّشْأة الأولى، وليْست الإعادة بأعْجب منْ بدْء الخلْق، وخاصَّة بدْء خلْق آدم عنْ عدم، والاسْتفْهامْ في «أإذا ضللْنا» للتَّعجُّب والإحالة، أيْ أظْهرُوا في كلامهمْ اسْتبْعاد البعْث بعْد فناء الأجْساد واخْتلاطها بالتُّراب، مُغالطة للمُؤْمنين وترْويجًا لكفْرهمْ. والضَّلال: الغياب، ومنْه: ضلال الطريق، والضَّالَّة: الدابَّة الَّتي ابْتعدتْ عنْ أهْلها فلمْ يُعْرف مكانها. وأرادوا بذلك إذا تفرَّقتْ أجْزاءُ أجْسادنا في خلال الأرْض واخْتلطتْ بتراب الأرْض. (التحرير والتنوير: ٢١/٢١٨).

«أإنَّا لفي خلْق جديد» أيْ: مبْعُوثون بعْد ذلك، ومنْ يقْدرُ أنْ يُعيدنا؟! وإنَّما تعجَّبُوا منْ عوْدهمْ بأعْيانهمْ بعْد أنْ مزَّقهُمْ البلى، وصارُوا عظامًا ورُفاتًا، فتعجَّبُوا أنْ يكونوا هُمْ بأعْيانهمْ مبْعُوثين للجزاء. وإنَّما أتوا منْ قياسهمُ الفاسد، حيْث قاسُوا قدْرة الله تعالى وعلْمه على قدْرتهمْ وعلْمهمْ، ولمْ يقْدُرُوا الله حقَّ قدْره، ولمْ يعْلمُوا «أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا» (الطلاق: ١٢)، ولذلك لمَّا حكى الله تعالى قوْلهُمْ هذا في سُورة (قَ) أتْبعهُ بما يُبْطلُه، فذكر منْ علْمه وقُدْرته ما يدُلُّ على أنَّه سُبْحانه يُعيدُهُمْ بعْد موْتهمْ، قال تعالى: «قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ① بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ② أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ③ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ» (ق: ١-٤).

فأخْبر سُبْحانهُ أنَّهُ قدْ علم ما تنْقصُهُ الأرْضُ منْ لُحومهمْ وعظامهمْ وأشْعارهمْ، وأنه كما هُو عالم بتلْك الأجْزاء فهُو قادرٌ على تحْصيلها وجمْعها بعْد تفرُّقها وتأْليفها خلْقًا جديدًا.

وهُو سُبْحانهُ يُقرِّرُ المعاد بذكْر كمال علْمه، وكمال قُدْرته، وكمال حكْمته، فإنَّ شُبه المُنْكرين له كُلَّها تعُودُ إلى ثلاثة أنْواع:

أحدُها: اخْتلاط أجْزائهمْ بأجْزاء الأرْض على وجْه لا يتميَّزُ، ولا يحْصُل معها تمْييزُ شخْص عنْ شخْص.

الثَّاني: أنَّ القُدْرة لا تتعلَّقُ بذلك.

الثَّالث: أنَّ ذلك أمْرٌ لا فائدة فيه، أوْ إنَّما الحكْمةُ اقْتضتْ دوام هذا النَّوْع الإنْسانيِّ شيْئًا بعْد شيْء، هكذا أبدًا، كلَّما مات جيلٌ خلفه جيل آخرُ. فأمَّا أنْ يُميت النَّوْع الإنْسانيَّ كلَّه ثمَّ يُحْييه بعْد ذلك فلا حكْمة في ذلك.

فجاءتْ براهينُ المعاد في القُرْآن مبْنيَّة على ثلاثة أصُول:

أحدُها: تقْريرُ كمال علْم الرَّبِّ سُبْحانه، كما في قوله: «وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ⑦⑧ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ» (يس: ٧٨، ٧٩)، وقال سُبْحانه: «وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ⑧⑤ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ» (الحجر: ٨٥، ٨٦).

والثَّاني: تقْريرُ كمال قُدْرته، كقوْله تعالى: «أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم» (يس ٨١)، وقوْله تعالى: «أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ③ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ» (القيامة: ٣، ٤).

الثَّالث: كمالُ حكْمته، كقوْله سُبْحانهُ: «وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ» (الدخان: ٣٨)، وقوْله: «وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا» (ص ٢٧)، وقوْله: «أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى» (القيامة: ٣٦)، وقوْله: «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ①①⑤ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ» (المؤمنون: ١١٥، ١١٦)، وقوْله: «أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ» (الجاثية: ٢١).

ولهذا كان الصَّوابُ أنَّ المعاد معْلُومٌ بالعقْل مع الشَّرْع، وأنَّ كمال الرَّبِّ تعالى، وكمال أسْمائه وصفاته تقْتضيه وتُوجبُه، وأنَّهُ مُنزَّهٌ عمَّا يقُولُهُ مُنْكرُوه، كما يُنزَّهُ كمالُهُ عنْ سائر العُيُوب والنَّقائص. (الفوائد لابن القيم: ص٦و٧).

و«بَلْ» من قَوْله تعالى: «بَلْ هُم بلقاء رَبِّهِمْ كافرون» إضْرابٌ عن كلامهم، أي ليْس إنْكارهُمْ البَعْث للاسْتبْعاد والاسْتحالة، لأنَّ دلائل إمْكانه واضحةٌ لكلِّ مُتأمِّل، ولكنَّ الباعث على إنْكارهمْ إيَّاهُ هو كُفْرهُمْ بلقاء الله، أيْ كُفْرهُمْ الَّذي تلقَّوْهُ عنْ أئمَّتهمْ عنْ غيْر دليلٍ (التحرير والتنوير: ٢١/٢١٩).

صفة التوفي:

«قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ»:

يَقُول تَعالَى لنَبيِّه صلى الله عليه وسلم: قُلْ يا نَبيَّنا لمُنْكري البَعْث، إنَّ الله تعالى وكَّل بقَبْض أرْواحكُمْ ملكا، يَتوفَّاكُمْ إذا انْتهتْ آجالكُمْ، «وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا» (آل عمران ١٤٥)، «فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ» (الأعراف: ٣٤).

وهكذا نسب الله تعالى التَّوفِّي إلى ملك المَوْت، ونسَبهُ في آية ثانية إلى ملائكة، فقال: «حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ» (الأنعام: ٦١)، ونسَبهُ في آية ثالثة إليْه عز وجل، فقال: «ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا» (الزمر ٤٢).

والْجَمْعُ بيْن هذه الآيات: أنَّ الله تعالى هُو الَّذي يتوفَّى الأنْفس حين موْتها، لأنَّهُ الَّذي قضى وقدَّر، وأذن للملائكة به. وملكُ المَوْت هو الَّذي يقْبض الأنْفس بأمْر الله، ولملك المَوْت مُساعدُون من المَلائكة، ينْزلون قبْله بالكفن المُناسب لتلْك النَّفس الَّتي سيتوفَّاها.

وقدْ بيَّن النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم كيْف تتوفَّى المَلائكةُ بني آدم في حديث طويل، رواهُ أحمد وأبو داود وغيْرهُما، عن البراء بْن عازب رضي الله عنه قال: خرجْنا مع النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم في جنازة رجُل من الأنْصار، فانْتهيْنا إلى القبْر ولمَّا يُلْحد، فجلس رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وجلسْنا حوْله كأنَّ على رُءوسنا الطَّيْر، وفي يده عُودٌ ينْكُتُ به في الأرْض، فرفع رأْسه فقال: «اسْتعيذُوا بالله منْ عذاب القبْر». مرَّتيْن أوْ ثلاثا ثُمَّ قال: «إنَّ العبْد المُؤْمن إذا كان في انْقطاع من الدُّنْيا وإقْبال من الآخرة، نزل إليْه ملائكةٌ من السَّماء بيضُ الوُجُوه، كأنَّ وُجُوههُمُ الشَّمْسُ، معهُمْ كفنٌ منْ أكْفان الجنَّة، وحنُوطٌ منْ حنُوط الجنَّة، حتَّى يجْلسُوا منْهُ مدَّ البصر، ثُمَّ يجيءُ ملكُ المَوْت عليه السلام حتَّى يجْلس عنْد رأْسه، فيقُولُ: أيَّتُها النَّفْسُ الطَّيِّبةُ! اخْرُجي إلى مغْفرة من الله ورضْوان، قال: فتخْرُجُ تسيلُ كما تسيلُ القطْرةُ منْ في السِّقاء، فيأْخُذُها، فإذا أخذها لمْ يدعُوها في يده طرْفة عيْن حتَّى يأْخُذُوها، فيجْعلُوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنُوط، ويخْرُجُ منْها كأطْيب نفْحة مسْك وُجدتْ على وجْه الأرْض. قال: فيصْعدُون بها، فلا يمُرُّون-يعْني بها- على ملأٍ من المَلائكة إلا قالُوا: ما هذا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟! فيقُولُون: فُلانُ بْنُ فُلان، بأحْسن أسْمائه الَّتي كانُوا يُسمُّونهُ بها في الدُّنْيا، حتَّى ينْتهُوا بها إلى السَّماء الدُّنْيا، فيسْتفْتحُون لهُ، فيُفْتحُ لهُمْ، فيُشيِّعُهُ منْ كُلِّ سماء مُقرَّبُوها إلى السَّماء الَّتي تليها، حتَّى يُنْتهى به إلى السَّماء السَّابعة، فيقُولُ اللهُ عز وجل: اكْتُبُوا كتاب عبْدي في علِّيِّين وأعيدُوهُ إلى الأرْض، فإنِّي منْها خلقْتُهُمْ، وفيها أُعيدُهُمْ، ومنْها أُخْرجُهُمْ تارةً أُخْرى. قال: فتُعادُ رُوحُهُ في جسده، فيأْتيه ملكان، فيُجْلسانه فيقُولان لهُ: منْ ربُّك؟ فيقُولُ: ربِّي اللهُ. فيقُولان لهُ: ما دينُك؟ فيقُولُ: ديني الإسْلامُ. فيقُولان لهُ: ما هذا الرَّجُلُ الَّذي بُعث فيكُمْ؟ فيقُولُ: هُو رسُولُ الله. فيقُولان لهُ: وما علْمُك؟ فيقُولُ: قرأْتُ كتاب الله فآمنْتُ به وصدَّقْتُ. فيُنادي مُنادٍ في السَّماء: أنْ صدق عبْدي، فأفْرشُوهُ من الجنَّة، وألْبسُوهُ من الجنَّة، وافْتحُوا لهُ بابا إلى الجنَّة. قال: فيأْتيه منْ رُوحها وطيبها، ويُفْسحُ لهُ في قبْره مدَّ بصره. قال: ويأْتيه رجُلٌ، حسنُ الوجْه، حسنُ الثِّياب، طيِّبُ الرِّيح، فيقُولُ: أبْشرْ بالَّذي يسُرُّك، هذا يوْمُك الَّذي كُنْت تُوعدُ. فيقُولُ لهُ: منْ أنْت؟ فوجْهُك الوجْهُ يجيءُ بالْخيْر؟ فيقُولُ: أنا عملُك الصَّالحُ. فيقُولُ: ربِّ أقم السَّاعة حتَّى أرْجع إلى أهْلي ومالي.

وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

مبادئ علم التوحيد

إعداد **د. عبد الله شاكر**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان، وبعد: لقد تناولنا في المقال السابق الملامح العامة والصفات الأساسية التي تميّز بها أهل السنة والجماعة عن غيرها من الفرق والجماعات الأخرى والتي من أهمها الوسطية والاعتدال. ونذكر في هذه المقالة بعون الله ومدده مبادئ علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة، حد علم التوحيد وموضوعه وحكمه وواضعه وفضله وثمرته.

حد علم التوحيد:

جرت عادة المصنفين من المتأخرين أن يدونوا مقدمة عن العلم وفضله وثمراته، وما يتعلق به في صدر مصنفاتهم.

وذلك لفوائد؛ منها:

أولًا: أن يحصّل طالب العلم بصيرة وتصورًا إجماليًا قبل أن يدخل إلى تفاصيله، فيعرف الوحدة الجامعة لمسائل هذا العلم، فيأمن عندئذ من اشتباه مسائل العلوم عليه، ومن دخوله في مسائل ليست من مسائل العلم الذي عول عليه وقصد إليه.

ثانيًا: أن يتحقق من فائدة العلم ونفعه؛ لينشط في طلبه وتحصيله وليستعذب المشاق في سبيله؛ وليكون عند طلبه هذا العلم النافع المفيد مجتنبًا للعبث والجهالة.

هذا، وقد استقر عمل المصنفين على ذكر مبادئ عشرة لكل علم وفن، تمثل مدخلًا تعريفيًا لطالب كل علم، وقد جمع بعضهم هذه المبادئ العشرة في قوله:

إن مبادئ أي علم كان
عشر تزيد من درى عرفانا
الحد والواضع ثم الاسم
والنسبة الموضوع ثم الحكم
وغاية وفضله استمداد
مسائل بها الهنا يزداد

وهذه المبادئ العشرة اسم لمجموعة من المعاني والمعارف يتوقف عليها شروع الطالب والباحث في طلب العلم وتحصيله، وبيانها كالتالي:

أولًا: الحد: ويقصد به التعريف الجامع لمسائل العلم ومباحثه المانع من دخول غيره فيه.

ثانيًا: الموضوع: وهو المجال المحدد الذي يبحث فيه العلم والجهة التي تتوحد فيه مسائله.

ثالثًا: الغاية أو الثمرة: الفائدة التي يحصلها دارس العلم ومتعلمه في الدارين.

رابعًا: الاستمداد: ومعنى الاستمداد: الروافد والمصادر والأسباب العلمية التي يستقي منها العلم مسائله ومطالبه.

خامسًا: الفضل: وهو ما للعلم من منزلة وشرف وأهمية بين العلوم.

سادسًا: الواضع: ونعني به: أول من ابتدأ التدوين والتصنيف في العلم، ووضع أساسه، وأرسى قواعده، كما يشمل تطور التأليف في العلم ومراحله.

سابعًا: الاسم: ونعني به: الألقاب التي أطلقها أهل هذا العلم عليه؛ لتمييزه عن غيره؛ حتى أصبحت أعلامًا عليه.

ثامنًا: الحكم: ويقصد به: الحكم الشرعي لتعلم هذا العلم من بين الأحكام التكليفية الخمسة.

تاسعًا: المسائل: وهي المطالب التي يبحثها ويقررها العلم والتي تندرج تحت موضوعه.

عاشرًا: النسبة: وهي صلة العلم وعلاقته بغيره من العلوم.

حد علم التوحيد

تعريف «الحد»:

الحد لغة: المنع، ومنه الحدود؛ لأنها تمنع من العودة إلى المعاصي، ومنه: إحداد المرأة في عدتها؛ لأنها تمنع من الطيب والزينة؛ وسمي التعريف حدا؛ لمنعه الداخل من الخروج والخارج من الدخول.

الحد اصطلاحًا: هو الوصف المحيط بمعناه المميز له عن غيره، أو هو اللفظ المفسر لمعناه على وجه يجمع ويمنع.

وقد درج العلماء عند تعريف ما تركب من كلمتين في مركب إضافي كعلم التوحيد: أن يبدءوا بتعريف مفرديه أولا، ثم بعد ذلك يعرفونه باعتباره لقبًا وعلمًا على الفن المعين ثانيًا.

معنى العلم:

يطلق العلم ويراد به: إدراك الشيء على ما هو عليه في الواقع، ويمكن تعريفه بتمثيل، كأن يقال: العلم إدراك البصيرة المشابهة لإدراك الباصرة.

وعليه: فإن العلم اصطلاحًا يطلق على مجموعة من المعارف الظنية الراجحة، ومنها ما هو قطعي بشرط أن تكون منظمة حول موضوع ما: كعلم التوحيد، وعلم الفقه، وعلم الطب... ونحو ذلك.

وبناء على ما تقدم: فإن المختار في تعريف العلم أنه: الإدراك الحاصل بالدليل الشامل لليقين الجازم والظن الغالب، وما بينهما من درجات ومراتب.

معنى التوحيد لغة: هو انفراد الشيء بذاته، أو صفاته أو أفعاله، وعدم وجود نظير له فيما هو أحد فيه.

وبناء على هذا نقول: إن للتوحيد - لغة - معنيين:

الأول: جعل المتعدد واحدًا، فمن جمع بين أقطار متفرقة؛ يقال له: وحدها.

الثاني: اعتقاد الشيء واحدًا، وهذا بمعنى النسبة إلى الوحدانية، وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات، أي: نفي الحكم عما سوى الموحد وإثباته له.

معنى التوحيد اصطلاحًا:

إفراد الله بالعبادة، مع الجزم بإنفراده في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي ذاته؛ فلا نظير له، ولا مثيل له في ذلك كله.

معنى «علم التوحيد»:

إذا أضيفت كلمة العلم إلى كلمة التوحيد؛ فإن معنى هذا المركب الإضافي: هو الإدراك الجازم المطابق للواقع عن دليل بإنفراد الله تعالى بالعبادة وحده لا شريك له، مع إنفراده في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

موضوع علم التوحيد

موضوع علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة يدور على أمور؛منها: بيان حقيقة الإيمان بالله تعالى وتوحيده، وما يجب له تعالى من صفات الجلال والكمال، مع إفراده وحده بالعبادة دون شريك، والإيمان بالملائكة الأبرار، والرسل الأطهار، وما يتعلق باليوم الآخر، والقضاء والقدر، كما يدور على بيان ضد التوحيد، وهو الشرك، والكفر، وبيان حقيقتهما وأنواعهما.

وقد يقال: إن موضوع علم التوحيد يدور على محاور ثلاثة.

المحور الأول: ذات الله - تبارك وتعالى - أو الإلهيات: والبحث في ذات الله تعالى من حيثيات ثلاثة، هي إثبات سائر صفاته وكمالاته تعالى، قال (جل ذكره) «لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ» (الشورى: ١١) كما أنه أيضًا يبحث عما يتنزه عنه من الظلم والنقص، والعجز والمثالب، وسائر ما لا يليق بجلاله وكماله، قال تعالى: «ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ» (البقرة: ٢٥٥).

وكذلك أيضًا يبحث في حقه تعالى على عباده، وحق الله على عباده: أن يعبدوه فلا يشركوا به شيئًا، وأن يطيعوه فلا يعصوه أبدًا وللحديث صلة إن شاء الله

والحمد لله رب العالمين.

عاشوراء بين أهل السنة والشيعة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فإن يوم عاشوراء هو يوم العاشر من شهر المحرم، وهذا اليوم حدث فيه من الاختلاف ما لم يحدث في غيره، وهناك نزاع شهير بين أهل السنة والشيعة بشأنه.

إعداد د. أيمن خليل
دكتوراه في الحقوق
رئيس فرع المنصورة

صنيع الشيعة في عاشوراء:

تزعم الشيعة أن أهل السنة يصومون يوم عاشوراء فرحًا بمقتل الحسين، ويرون أن صوم هذا اليوم من الكبائر، فقد روى الكليني بسنده في الكافي عن جعفر بن عيسى قال: " سألت الرضا عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء وما يقول الناس فيه؟ فقال: عن صوم ابن مرجانة(يقصدون: عبيد الله بن زياد) تسألني، ذلك يوم صامه الأدعياء من آل زياد لقتل الحسين عليه السلام، وهو يوم يتشاءم به آل محمد صلى الله عليه وسلم ويتشاءم به أهل الإسلام لا يُصام ولا يُتبرك به، ويوم الاثنين يوم نحس؛ قبض الله عز وجل فيه نبيه، وما أصيب آل محمد إلا في يوم الاثنين، فتشاءمنا به وتبرك به ابن مرجانة وتشاءم به آل محمد صلى الله عليه وسلم، فمن صامهما أو تبرك بهما لقي الله تبارك وتعالى ممسوخ القلب وكان حشره مع الذين سنوا صومهما والتبرك بهما...".

فيُحيي الشيعة في يوم عاشوراء ذكرى مقتل الحسين ويقومون بضرب أنفسهم بالسلاسل والسكاكين، ويدمون أنفسهم وأبناءهم فيما يعرف بالتطبير- تكفيرًا عن خذلانهم للحسين الذي مات قبل أن يولد آباؤهم الأقدمون (وكأنهم حملوا خطيئة ذلك دون ذنب أو جريرة).

ويرفعون شعارهم: الحسين سر انتصارتنا، ويالثأرات الحسين وهو الشعار الذي اختاره المختار بن يوسف الثقفي الذي قاد حركة التوابين، وكان أول من أقام احتفالاً تأبينيًا في داره في الكوفة بمناسبة يوم عاشوراء، وأرسل النادبات إلى شوارع الكوفة للندب على الحسين.

معز الدولة ابن بابويه يستحدث اللطيم ببغداد يوم عاشوراء:

وتظهر مآتم الشيعة علنًا كلما قويت شوكتهم، ففي دولة بني بويه الشيعية في سنة ٣٥٢هـ-وهم من الفرس المسلمين على مذهب جعفر الصادق، الذين غالوا في تقديس مراقد الأئمة- ألزم معز الدولة ابن بابويه أهل بغداد بالنواح على الحسين رضي الله عنه يوم عاشوراء، وأمر بغلق الأسواق ومنع الطباخين من عمل الأطعمة، وتخرج نساء الشيعة منشرات الشعور، يلطمن وجوههن وهذا أول ما نيح عليه، وكان معز الدولة شيعيًا جلدًا، ومن أجل ذلك لما تحكَم في بغداد حاضرة الخلافة أظهر شعائر الرفض وأمر الناس بالاحتفال بيوم كربلاء وبيوم غديرخم، وظهر النوح واللطم

ولبس السواد بين الناس.

الدولة العبيدية الرافضية تستحدث الاحتفال بعاشوراء في مصر:

اتخذت الدولة العبيدية الرافضية المسماة في كتب التاريخ بالدولة الفاطمية يوم عاشوراء يوم حزن ونياحة فكانت تتعطل فيه الأسواق ويخرج فيه المنشدون في الطرقات، وكان الخليفة يجلس في ذلك اليوم متلثمًا يرى به الحزن كما كان القضاة، والدعاة، والأشراف، والأمراء يظهرون وهم ملثمون حفاة، فيأخذ الشعراء بالإنشاد ورثاء أهل البيت وسرد الروايات والقصص التي اختلقوها في مقتل الحسين رضي الله عنه (البداية والنهاية لابن كثير، والعبر للذهبي).

ومن مظاهرهم في أيامنا خروج المواكب العزائية في الطرقات والشوارع مظهرين اللطم بالأيدي على الخدود والصدور، والضرب بالسلاسل والحديد على الأكتاف حتى تسيل الدماء.

الدولة الصفوية تعيد اللطيم بالعراق يوم عاشوراء (التطبير):

أما الشكل الشائع لعاشوراء على النحو المعروف لنا في الوقت الحاضر (أي رواية سيرة الحسين في محافل شعبية)؛ فتعود جذوره إلى القرن العاشر الهجري عندما اعتلى الصفويون سدة الحكم في إيران. واتخذوا من التشيع عقيدة رسمية لدولتهم، تطورت هذه الشعائر بنوعيها المعروفين، أي رواية سيرة الحسين في تجمعات شعبية حافلة، تليها المواكب، وكانت حصيلة الدمج بين هذين النمطين في إيران ولادة ما عرف بمسرح التعزية.

البدع التي أحدثت عند أهل السنة في عاشوراء:

على الجانب الآخر نجد منْ أهل السنة مَنْ أحدث بدعًا لا أصل لها تتعلق بيوم عاشوراء منها: الزعم بأنه من السنة الاكتحال يوم عاشوراء، بل روى بعض المتأخرين فى ذلك أحاديث مكذوبة مثل: ما رووه أن من اكتحل يوم عاشوراء لم يرمد من ذلك العام، ومن اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض ذلك العام... وأمثال ذلك مما هو مكذوب على النبي صلى الله عليه وسلم، كما رووا حديثًا موضوعًا مكذوبًا على النبي صلى الله عليه وسلم أنه من وسع على أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر السنة.

وذهب البعض إلى استحباب الاغتسال يوم عاشوراء، والتعييد بالمصافحة، وإعداد بعض ألوان الطعام الخاصة كأكلة (عاشورا) المعروفة في مصر والتي تُصنع بالقمح واللبن، بل وذهب البعض إلى تخصيص يوم عاشوراء بصلاة معينة، وهو ما لا يجوز لأنه لم يرد في شيء من ذلك حديث صحيح عن النبي ولا عن أصحابه ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم. كما لا يصح مطلقًا ما يروى كذبًا أنه في عاشوراء كانت توبة آدم على الجودي، ورد الله يوسف على يعقوب، وأنجى سبحانه إبراهيم من النار، وفي عاشوراء أيضًا كان فداء الذبيح بالكبش، وهذا كله كذب على النبي صلى الله عليه وسلم. ويذكر ابن تيمية في الفتاوى أن البدع التي أحدثت في عاشوراء إنما فعلها الجهال الذين قابلوا فساد معتقد الشيعة بفساد آخر، وقابلوا كذب الشيعة بالكذب، وبدعتهم بالابتداع: فوضعوا الآثار فى شعائر الفرح والسرور يوم عاشوراء كالاكتحال، والاختضاب، وتوسيع النفقات على العيال، وطبخ الأطعمة الخارجة عن العادة، ونحو ذلك مما يفعل فى الأعياد والمواسم، فصار هؤلاء يتخذون يوم عاشوراء موسما كمواسم الأعياد والأفراح.

ردّ فرية الشيعة بشأن صوم عاشوراء:

زعمت الشيعة أن أهل السنة يصومون عاشوراء فرحًا بمقتل الحسين، وعدوا صومه من الكبائر، واشتهرت عندهم عن صوم عاشوراء مقولة: "عن صوم ابن مرجانة تسألني"، ويُرَدُّ بهتان الشيعة بصوم اليهود لعاشوراء، وصوم العرب له قبل الإسلام، وصوم النبي له قبل مولد الحسين، ونعرض لذلك فيما يلي:

صوم اليهود عاشوراء:

وردت عدة أحاديث تؤكد أن اليهود كانت تصوم عاشوراء شكرًا لله أن نجاهم من فرعون في هذا اليوم، منها: حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: ما هذا، قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم، فصامه نبي الله موسى عليه السلام. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أنا أَوْلَى بِمُوسَى مِنْهُمْ فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِه" (متفق

عليه). ويُستفاد من الحديث أن شكر الله على نعمه يكون بالطاعة، وليس بالغناء والموسيقى والرقص.

ولحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان يوم عاشوراء تعده اليهود عيدًا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " فَصُومُوهُ أَنْتُمْ " (متفق عليه).

صوم العرب عاشوراء:

صامت العرب في الجاهلية عاشوراء، وصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه. ففي حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: " كَانَتْ قُرَيْشٌ تَصُومُ عَاشُورَاءَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَصُومُهُ فَلَمَّا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، صَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، فَلَمَّا فُرِضَ شَهْرُ رَمَضَانَ، قَالَ: مَنْ شَاءَ صَامَهُ، وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ " (متفق عليه). وصوم قريش لعاشوراء من بقايا دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام، كما عرفت العرب الحج، والعمرة، والنذر، والاعتكاف، والغسل من الجنابة في الجاهلية قبل الإسلام؛ وذلك من بقايا دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

حكم صوم عاشوراء

ذهب بعض الفقهاء إلى استحباب صوم عاشوراء؛ لأنه يكفر صغائر الذنوب للسنة الماضية، وأنه سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم. وذهب البعض إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم صام عاشوراء قبل فرض الصوم ثم ترك صومه، ومن قال باستحباب صومه اختلف في كيفية صومه هل يصام منفردًا؟، أم يصام مع التاسع؟، أم يصام التاسع بدلًا من عاشوراء؟، أم يصام يوم قبله وبعده؟، ونعرض لذلك فيما يأتي:

صوم عاشوراء منفردًا:

ذهب بعض الفقهاء إلى استحباب صوم يوم عاشوراء منفردًا، واستندوا إلى حديث أبي قتادة الأنصاري-رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم عاشوراء، فقال: يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ " (صحيح مسلم). وإلى ما ورد في الصحيحين عن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما يوم عاشوراء عام حج، على المنبر يقول: يا أهل المدينة، أين علماؤكم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "هَذَا يَوْمُ عَاشُورَاءَ وَلَمْ يَكْتُبِ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، وَأَنَا صَائِمٌ فَمَنْ شَاءَ فَلْيَصُمْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُفْطِرْ"(متفق عليه). ولكن هذا الحديث يؤكد أن أهل المدينة لم يكونوا يصومون عاشوراء، ولذا يقول: يا أهل المدينة، أين علماؤكم؟ يريد جوابًا منهم عن سبب عدم صومهم عاشوراء.

صوم تاسوعاء منفردًا:

ذهب ابن عباس-رضي الله عنهما- إلى أن المستحب هو صوم التاسع وليس صوم عاشوراء، وذلك لما رواه مسلم عن الحكم بن الأعرج قال: "انتهيت إلى ابن عباس رضي الله عنهما وهو متوسد رداءه في زمزم فقلت له: أخبرني عن صوم عاشوراء؟ فقال: إذا رأيتَ هلالَ المحرَّم فاعْدُدْ وأَصْبِحْ يومَ التَّاسع صائمًا. قلتُ: هكذا كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَصُومُهُ قال نَعَمْ "(صحيح مسلم).

ومن ذهب إلى استحباب صوم التاسع استند إلى حديث عبد الله ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لَئِنْ بقيتُ إلى قابلٍ، لأَصُومَنَّ التَّاسعَ. وفي رواية أبي بكر قال: يعني: يوم عاشوراء "(صحيح مسلم).

وقد ورد في رواية لهذا الحديث عن أبي غطفان بن طريف المري أنه قال: سمعت عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول: حين صام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء، وأمر بصيامه قالوا: يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع، قال: فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم "(صحيح مسلم).

وهذا الحديث فيه إدراج من أحد الرواة وهو قوله: " فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم". لأن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة، فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فصامه وأمر بصومه وكان ذلك في أول السنة الثانية من الهجرة، وهم النبي بصوم تاسوعاء لمخالفة اليهود، ولكن لما فرض صوم رمضان ترك صلى الله عليه وسلم صوم عاشوراء، ومن ثم لا يستقيم قوله أنه لم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! فضلًا عن أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما توفي لم يكن بالمدينة يهود!! حيث أجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ما يتأكد معه أن قول القائل: "فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم" هو إدراج من أحد الرواة.

القول باستحباب صوم التاسع والعاشر:

ذهب الشافعي وأحمد إلى استحباب صوم التاسع والعاشر جميعا؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم صام العاشر، ونوى صيام التاسع، واستدلوا على استحباب صوم التاسع والعاشر بحديث ابن عباس في صحيح مسلم: " لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ، لَأَصُومَنَّ التَّاسِعَ " بأنه نوى صوم التاسع والعاشر، وذلك على الرغم من أن الحديث لم يذكر العاشر، ورغم أن راوي الحديث وهو ابن عباس كان يصوم التاسع فقط. يقول النووي في المجموع: "... واتفق أصحابنا وغيرهم على استحباب صوم عاشوراء وتاسوعاء.

وذكر العلماء من أصحابنا وغيرهم في حكمة استحباب صوم تاسوعاء أوجها لذلك: أحدها: أن المراد منه مخالفة اليهود في اقتصارهم على العاشر، وهو مروي عن ابن عباس، وفي حديث رواه الإمام أحمد بن حنبل عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صوموا يوم عاشوراء، وخالفوا اليهود وصوموا قبله يوما وبعده يوما". الثاني: أن المراد به وصل يوم عاشوراء بصوم، كما نهى أن يصام يوم الجمعة وحده، ذكرهما الخطابي وآخرون. الثالث: الاحتياط في صوم العاشر خشية نقص الهلال، ووقوع غلط فيكون التاسع في العدد هو العاشر في نفس الأمر...". (المجموع شرح المهذب مع تكملة السبكي والمطيعي، ج٦، ص٣٨٣).

وإلى استحباب صوم التاسع والعاشر ذهب ابن حجر في فتح الباري حيث يقول: "... ما رواه مسلم أيضا من وجه آخر عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع فمات قبل ذلك فإنه ظاهر في أنه رضي الله عنهما كان يصوم العاشر وهم بصوم التاسع فمات قبل ذلك ثم ما هم به من صوم التاسع يحتمل معناه أنه لا يقتصر عليه بل يضيفه إلى اليوم العاشر إما احتياطا له وإما مخالفة لليهود والنصارى وهو الأرجح...".(فتح الباري ج٤، ص٢٤٥). ولكن هذا الفهم للحديث يخالف صنيع راوي الحديث عبد الله بن عباس والذي كان يصوم التاسع فقط- كما سلفت الإشارة إلى ذلك- وليس العاشر، فضلاً عما في ذلك الحديث من إدراج كما بينا.

القول باستحباب صوم التاسع والعاشر والحادي عشر:

ذهب بعض الفقهاء إلى أن صوم يوم عاشوراء على ثلاث مراتب:

أعلاها: صوم التاسع والعاشر والحادي عشر لحديث: صوموا قبله يوماً وبعده يوماً.

ويليها: صوم التاسع والعاشر لحديث: " إذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا التاسع".

وآخرها: إفراده بالصوم أي صوم يوم عاشوراء وحده، للأحاديث الدالة على تأكيد صومه.

ومن هؤلاء الفقهاء ابن القيم والذي نص في زاد المعاد على أنه: "... فمراتب صومه ثلاثة أكملها: أن يصام قبله يوم وبعده يوم، ويلي ذلك أن يصام التاسع والعاشر وعليه أكثر الأحاديث، ويلي ذلك إفراد العاشر وحده بالصوم" (زاد المعاد في هدي خير العباد ج٢، ص٧٢). وهذا لا يصح وليس من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم عاشوراء، وليس من هدي النبي صوم التاسع والعاشر والحادي عشر، كما أنه لا يصح الاستشهاد بحديث عبد الله بن عباس: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صُومُوا يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَخَالِفُوا فِيهِ الْيَهُودَ، صُومُوا قَبْلَهُ يَوْمًا أَوْ بَعْدَهُ يَوْمًا (مسند أحمد بن حنبل).

كما لا يصح العمل بهذا الحديث الضعيف بزعم أنه في فضائل الأعمال لأنه لا ينبغي العمل بالضعيف وفي الصحيح الغنية، ولأن الصوم عبادة وليس من فضائل الأعمال والعبادة تحتاج إلى دليل مشروعية. فضلاً عن أن هذا الحديث ضعيف لسوء حفظ ابن أبي ليلى، وقد خالفه من هو أوثق منه كعطاء وغيره فرووا الحديث عن ابن عباس موقوفاً عليه. فضلاً عن الحديث لفظه (أو) صوموا قبله يوماً أو بعده يوماً، فالحديث مع ضعفه ليس فيه صوم الأيام الثلاثة مجتمعة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

السياق وتنوع أوصاف العذاب في القرآن الكريم

إعداد **د. عبد الرحمن فودة**
أستاذ البلاغة بجامعة القاهرة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله المبعوث رحمة للعالمين.

وبعد: فقد بيَّنت في المقال السابق دور السياق في إيثار وصف "غليظ". و"قريبًا" دون غيره من أوصاف العذاب، أسأل الله لي ولكم السلامة من كل سوء. وسُقنا على ذلك أمثلة تحليلية. وفي هذا المقال بعون الله وتوفيقه نتناول أوصاف «الأكبر»، و«نكرًا»، و«صعدًا».

الوصف الثامن: «الأكبر»:

وردت مرتين: واحدة فاصلة، والأخرى غير فاصلة، وكلتاهما معرفة، في سورتين مكيتين، وهما في العذاب الأخروي.

والمقصود بالعذاب الأكبر عذاب الآخرة؛ لأنه ورد في مقابل (العذاب الأدنى)، وهو عذاب الدنيا من البلايا والمِحَن، في آية السجدة: «وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» (السجدة: ٢١).

المعنى: لنُذيقنَّ الفاسقين المكذبين من عذاب الدنيا بالابتلاءات والمِحَن والمصائب قبل أن يأتيهم العذاب الأكبر يوم القيامة؛ حيث يُعذَّبون في نار جهنم إن لم يرجعوا في دنياهم عن الفسق.

وفي آية الغاشية: « إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ » (الغاشية: ٢٣، ٢٤).

فهي عظة للمُعرضين الذين يتولون ويكفرون؛ فإنهم مُهدَّدون بعذاب أكبر في الآخرة.

فالأكبر إذن إشارة إلى عذاب الآخرة مقارنًا بما يمكن أن يكون عذابًا في الدنيا، ولا شك أن عذاب الدنيا أصغر من ذلك العذاب الأخروي، وجاء الفعل (ولنذيقنهم) مضارعًا مؤكدًا بنون التوكيد الثقيلة، وذلك للإشارة إلى أن للعذاب مذاقًا يتذوقه المعذَّبون، سواء في الدنيا أو في الآخرة، ولتأكيد حدوثه عن طريق التوكيد باللام والتعبير بالمضارعة، ومما يؤيد هذا قوله تعالى: « ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ » (الدخان: ٤٩) أي: يقال لهذا الشقي: ذق هذا العذاب الذي تُعذَّب به اليوم يا من كنت عزيزًا في قومك كريمًا عليهم، فكنت تستشعر مذاق العزة والكرامة، فها أنت الآن تتذوق مرارة الألم المُمضّ والعذاب الكبير، وذلك على سبيل التوبيخ والتقريع.

> العذاب الأكبر إذن إشارة إلى عذاب الآخرة مقارنًا بما يمكن أن يكون عذابا في الدنيا.

وهو عذاب أكبر وليس كبيرًا، بل هو أكبر من الكبير، وهو معرَّف وكأنه كان معروفًا منتظرًا.

الوصف التاسع: «نُكرًا»:

وردت في وصف العذاب مرتين: إحداهما في عذاب الآخرة، والأخرى في عذاب دنيوي، وفي المرتين وقعت فاصلة نكرة في جملة فعلية؛ إحداهما في سورة مكية، والأخرى مدنية.

والنُّكر: الدهاء والأمر الصعب الذي لا يُعرف. وهو أصل صحيح يدل على خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب، ونَكِر الشيء وأنكره: لم يقبله ولم يعترف به لسانه، فالنكر: الدَّهي. والنكراء: الأمر الصعب الشديد، والإنكار خلاف الاعتراف، والتنكّر: التنقل من حال تسُرّ إلى أخرى تكره، جاءت (نكرا) في موضعين وصفًا للعذاب:

الأول: « قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا » (الكهف: ٨٧).

والثاني: « وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا » (الطلاق: ٨).

الموضع الأول على لسان ذي القرنين، بيّن أن من ظلم يُعذَّب عذابين: عذاب الدنيا بعقوبة على يدي ذي القرنين، وعذاب الآخرة حين يبعثه ربه يوم القيامة، فيعذبه عذابًا أشد من عذاب الدنيا.

والموضع الثاني يُحتّم أن يكون في عذاب الدنيا، للقرى التي تحيد عن أمر الله بالعناد والإفساد، ويحتمل أن يكون في الآخرة جزاء ما قدمت في الدنيا من عتوّ واجرام، ولعل التعبير الماضي (حاسبناها.. عذبناها) ليفيد تحقيق هذا الحساب وهذا الوعيد بالعذاب وهو عذاب نكر، أي: منكر غير معلوم كنهه، دلالة على بشاعته وفظاعته، ويساعد على هذا أيضًا أن الكلمة جاءت نكرة لتدل على صعوبة هذا العذاب.

وقد وردت الكلمة (نكرًا) مرتين أخريين موقوف بها كلمة (شيء): إحداهما في قوله تعالى: « لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا » (الكهف: ٧٤) على لسان موسى معترضًا على الخضر حين قتل الغلام، أي: جئت أمرًا فظيعًا تستنكره النفوس والفطر السليمة، والأخرى في قوله تعالى: « فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ » (القمر: ٦)، والمقصود يوم الحساب، وهو يوم رهيب رعيب، ونلاحظ كلمة (شيء)، وهو نكرة أيضًا للدلالة على إبهامه وعدم وضوحه تخويفًا وترهيبًا، والله أعلم.

الوصف العاشر: «صعدًا»:

جاء وصف العذاب بكلمة «صعدًا» مرة واحدة في سورة الجن، وهو سورة مكية، ووقعت الكلمة فاصلة نكرة، وهي تهديد بعذاب الآخرة، كما وقعت في جملة فعلية دالة على تجدد العذاب وحدوثه لهذا المعذب.

والصَعد: الشاق. قال ابن فارس: «(الصاد والعين والدال): أصل صحيح يدل على ارتفاع ومشقة، ومن ذلك الصَعود خلاف الحدور». والصعود: العقبة الكؤود والمشقة من الأمر، قال الله تعالى: «سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا» (المدثر: ١٧)، والصعد مصدر صَعَد صَعَدًا. قال الراغب: «الصعود والصَعد يقال للعقبة، ويستعار لكل شاق، قال الله تعالى: «وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا» (الجن: ١٧) أي: شاقًا. وقال: «سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا» (المدثر: ١٧)، أي: عقبة شاقة. يقال: تصعدني كذا، أي: شق عليَّ. قال عمر: ما تصعدني أمر ما تصعدني خطبة النكاح.

فوصف العذاب بـ«صعدًا» لأنه يتصعد المعذب، أي: يعلوه ويغلبه فلا يطيقه، وكأنه مشقة أو جبل يصعد فيها، وعذاب لا راحة فيه.

والآية واردة في سياق تعذيب المعرض عن ذكر ربه سبحانه بالمشقة والعنت في نار جهنم، وقد وردت الصورة المقابلة، وهي صورة الطمأنينة لمن يذكر ربه: «أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ» (الرعد: ٢٨)، والقلب المطمئن هادئ، لا اضطراب فيه، ولا مشقة، أمّا المُعرض فكأنه يصَعد في السماء ضيق الصدر كأنه متردّد النفس جزاء صعود مكان مرتفع، فالجزاء من جنس العمل، وهي صورة متكررة في السورة الكريمة: حيث التقابل بين فريقين من الجن، كما هو حال الإنس: «مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ» (الجن: ١١)، «وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥) وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا (١٦) لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا» (الجن: ١٤-١٧)، إذًا فهي مقابلة بين فريق ينهج نهج الاستقامة على الطاعة وإرضاء الله بكثرة ذكره فيرزق الرزق الواسع، في مقابل فريق يحيد عن الطريق، ويعرض عن ذكر الله فيحيا الضنك والمشقة، ويُهدَد بعذاب أخروي شاقّ بسبب إعراضه عن ذكر الله، وجوره وظلمه لخلق الله.

لعلنا نلاحظ أن الفاصلة شبه مطردة في السورة الكريمة؛ حيث تنتهي معظم فواصلها بالدال المتبوعة بألف الإطلاق (أحدًا- ولدًا- رصدًا- رشدًا- مددًا- صعدًا- لبدًا- أحدًا)، وهو لون من التناسب بين الفواصل يحقق الرعي على الفاصلة، وإيقاعًا تطرب له أذن السامع.

> **القلب المطمئن هادئ، لا اضطراب فيه، ولا مشقــة، أما المُعرضــ فكأنه يصَعد في السماء ضيق الصدر كأنه متردّد النفس.**

والصفة والموصوف نكرتان، تعطيان معنى التفخيم أو التهويل الذي تذهب النفس من خلاله كل مذهب في تخيل صورة هذا العذاب الشاق لمن يُعرض عن ذكر ربه، ولعل هذا الوصف (صعدًا) هو الأليق والأنسب لسياق سورة الجن التي تُوضح مسلك الجن حين كانوا يسترقون السمع من السماء الدنيا (وهو أمر يحتاج إلى الصعود): لمعرفة الأخبار النازلة على الخلق من بني آدم، فينتفع الكُهّان بما يخبرونهم به، فهم في رغبتهم استراق السمع يصعدون إلى السماء أو الصعود فيه مشقة، وهم بفعلهم يسهمون في كفر المستفيدين منهم، وهم بهذا مُعرضون عن ذكر الله، فناسب المُعذّب المعرض أن يكون عذابًا صَعدًا شاقًا، والله تعالى أعلم.

النظائر في قراءة القرآن

إعداد **د. جمال المراكبي**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي وائل قال: غدَوْنا على عبد الله بن مَسْعود رضي الله عنه يوْما بعْد ما صلّينا الغداة، فسلمنا بالباب، فأذن لنا.

قال: فَمَكَثْنَا بالباب هُنيَّةً، قال: فخرجت الجاريةُ فقالت: ألا تدْخُلُونَ

فدخلنا، فإذا هو جالسٌ يُسبِّح.

فقال: ما منعكم أن تدخلوا وقد أُذِن لكم؟

فقلنا: لا، إلاَّ أنَّا ظننَّا أنَّ بعضَ أهل البيت نائمٌ.

قال: ظَنَنْتُم بآل ابن أمّ عَبدِ غفْلةً؟ (يعني نفسه فإنَّ أمّ عبدِ الهذلية أمُّه، وهي صحابيَّةٌ رضي الله عنهما).

قال: ثمَّ أقبل يُسبّح حتى إذا ظنَّ أنَّ الشمسَ قد طلعت.

قال: يا جارية: انظري هل طلعت.

قال: فنظرت فإذا هي لم تَطلُع، فأقبل يُسبّح، حتى إذا ظنَّ أنَّ الشمسَ قد طلعت قال: يا جارية: انظري هل طلعت؟

قال: فنظرت فإذا هي قد طلعت.

قال: الحمد لله الذي أقالنا يومنا هذا، ولم يُهلكنا بذنوبنا.

وعَنِ الأعْمَش، عَنْ أبِي وَائِلٍ، قَالَ جَاءَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ نَهِيكُ بْنُ سِنَانٍ إلى عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَيْفَ تَقْرَأُ هَذَا الْحَرْفَ أَلِفًا تَجِدُهُ أَمْ يَاءً «مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ» أَوْ (مِنْ مَاءٍ غَيْرِ يَاسِنٍ)؟ قَالَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَكُلَّ الْقُرْآنِ قَدْ أَحْصَيْتَ غَيْرَ هَذَا قَالَ إِنِّي لأَقْرَأُ الْمُفَصَّلَ فِي رَكْعَةٍ.

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ. إِنَّ أَقْوَامًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ.. وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ فِيهِ نَفَعَ.. إِنَّ أَفْضَلَ الصَّلاَةِ الرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ، إِنِّي لأَعْلَمُ النَّظَائِرَ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقْرُنُ بَيْنَهُنَّ سُورَتَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ.

ثُمَّ قَامَ عَبْدُ اللَّهِ فَدَخَلَ عَلْقَمَةُ فِي إِثْرِهِ ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ قَدْ أَخْبَرَنِي بِهَا.

وعَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إلى عَبْدِ اللَّهِ يُقَالُ لَهُ نَهِيكُ بْنُ سِنَانٍ. بمثل الحديث السابق غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: فَجَاءَ عَلْقَمَةُ لِيَدْخُلَ عَلَيْهِ فَقُلْنَا لَهُ سَلْهُ عَنِ النَّظَائِرِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَسَأَلَهُ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ عِشْرُونَ سُورَةً مِنَ الْمُفَصَّلِ فِي تَأْلِيفِ عَبْدِ اللَّهِ.

وفي لفظ: إِنِّي لأَعْرِفُ النَّظَائِرَ الَّتِي كَانَ يَقْرَأُ بِهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم اثْنَتَيْنِ فِي رَكْعَةٍ، عِشْرِينَ سُورَةً فِي عَشْرِ رَكَعَاتٍ. (صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ترتيل القراءة واجتناب الهذ - وهو الإفراط في السرعة - وإباحة سورتين فأكثر في ركعة. ح٧٢٢).

رواة الحديث:

أبو وائل شقيق بن سلمة: تابعي جليل مخضرم أدرك النبي ولم يره، وأخذ العلم من كبار الصحابة خاصة عبد الله بن مسعود، ومات في زمن الحجاج بعد معركة دير الجماجم سنة اثنتين وثمانين.

نهيك بن سنان: بفتح النون وكسر الهاء، الكوفي، البجلي، السلمي انفرد بتوثيقه ابن حبان ذكره في الثقات وقال: يروي عن ابن مسعود، روى عنه أبو وائل.

وهو الرجل الذي سأل ابن مسعود عن الحرف في الآية.

معاني المفردات:

صلينا الغداة: صلاة أول النهار، وهي الفجر.

هنية: هنية تصغير هنة، أي شيء يسير

ويروى في الحديث هنيهة بإبدال الياء هاء.

ألا تدخلون؟ ألا أداة عرض أو تحضيض، وهما للطلب لكن العرض طلب بلين.

جالس يسبح: أي يذكر الله وينزهه.

فقلنا: لا إلا أنا ظننا: أي لم يمنعنا شيء من الدخول إلا أنا توهمنا أن بعض أهل البيت نائم، فالظن هنا مراد منه التوهم، وليس رجحان الاعتقاد كما هو عند الأصوليين.

ظننتم بآل ابن أم عبد غفلة: ابن أم عبد هو ابن مسعود، فكأنه قال: ظننتم بأهلي غفلة عن صلاة الصبح حاضراً، وذكر الله بعدها.

فقد كان ذلك بين الفجر وطلوع الشمس، والاستفهام إنكاري.

يا أبا عبد الرحمن: كنية عبد الله بن مسعود، والنداء بالكنية عند العرب للتوقير والاحترام.

كيف تقرأ هذا الحرف: غير آسن أم: ياسن؟

والماء الآسن هو المتغير

وقد وصف الله أنهار الجنة بأنها من ماء غير آسن: غير متغير.

وكل القرآن قد أحصيت غير هذا؟: كل مفعول مقدم لأحصيت والكلام على الاستفهام للتبكيت؛ لأنه فهم أن الرجل غير مسترشد وإنما هو متفيهق يدعي العلم والفقه، ولو فهم ابن مسعود أنه مسترشد لأجابه.

إني لأقرأ المفصل في ركعة: قالها الرجل متباهيًا بعلمه مفتخرًا بحفظه.

والمفصل من القرآن قيل: من أول سورة محمد. وقيل: من الحجرات. وقيل: من ق إلى آخر القرآن، ويقسمونه إلى طوال المفصل وقصار المفصل.

وسمي مفصلاً لقصر سوره وقرب انفصال بعضهن من بعض.

هذاً كهذ الشعر: أي سرداً وإفراطاً في السرعة، والكلام على الاستفهام الإنكاري بحذف أداة الاستفهام.

وأصل الهذ الدفع، والمراد من هذ الشعر: ما كانوا عليه من الإسراع في حفظه وقراءته.

لا يجاوز تراقيهم: هذا وصف للخوارج الأولين يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وفي لفظ لا يجاوز حناجرهم، فهو مرور على اللسان فحسب، والتراقي عظام بين النحر والحلق.

إني لأعلم النظائر: أي السور المتماثلة في المعاني كالموعظة والحكم أو القصص، لا المتماثلة في عدد الآي.

يقرن بينهن: أي يجمع بينهن سورتين في كل ركعة.

والنظائر نوعان:

الأول: سورتان كان رسول الله يجمع بينهما في ركعتين مثل الأعلى والغاشية في الجمعة.. والسجدة والإنسان في فجرها.. وكذلك سورتا الكافرون والإخلاص في ركعتي سنة الفجر وركعتي الطواف.

والثاني: سورتان من المفصل يجمع بينهما رسول الله في ركعة واحدة في قيام الليل وهي التي عناها ابن مسعود في هذا الحديث.

وهي عشرون سورة من المفصل، وسيأتي بيانها.

الحمد لله الذي أقالنا يومنا هذا: أي أحيانا يومنا هذا ومد في عمرنا لنكتسب حسنة أو نرجع عن ذنب وخطيئة فنتوب ونستعتب.

وفي الحديث: لا يتمنَّى أحدُكم الموت، إمَّا مُحسنًا، فلعلَّه يزدادُ، وإمَّا مُسيئًا فلعلَّه يَستَعتِبُ.

والفعل: أقال.. يُقيل.. إقالة، وأقال البيعَ: فسخَهُ.

وأقال فلانًا من وظيفته: نحّاه وعزله عنها.

وأقال اللهُ عثرتَهُ: صفح عنه وعفى عن ذنبه.

قرأت المفصل البارحة كله: أي في ركعة كما هو في الروايات الأخرى، والبارحة أقرب ليلة مضت.

من فقه الحديث:

قال تعالى: «وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا» (المزمل: ٤)، وقال تعالى: «وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ» (الإسراء: ١٠٦).

والأمر بالترتيل للاستحباب، ولا يلزم من استحباب التأني كراهة الإسراع، وانما الذي يكره الهذ، وهو الإسراع المفرط بحيث يخفي كثير من الحروف أو لا تخرج من مخارجها.

وأكثر العلماء على أفضلية التأني في الأداء مع قلة المقروء لأنه أدعى للخشوع وحضور القلب. وقد سئل مجاهد عن رجل قرأ البقرة وآل عمران في صلاته ورجل قرأ البقرة فقط.. قيامهما واحد وركوعهما واحد وسجودهما واحد. فقال: الذي قرأ البقرة فقط أفضل.

وقال رجل لابن عباس: إني رجل سريع القراءة، إني لأقرأ القرآن في ليلة. فقال ابن عباس: لأن أقرأ سورة أحب إليّ.

قال الحافظ ابن حجر: والتحقيق أن لكل من الإسراع والترتيل جهة فضل بشرط أن يكون المسرع لا يخل بشيء من الحروف والحركات والسكون الواجبات، فلا يمتنع أن يفضل أحدهما الآخر وأن يستويا، فإن من رتل وتأمل كمن تصدق بجوهرة واحدة ثمينة، ومن أسرع كمن تصدق بعدة جواهر لكن قيمتها قيمة الواحدة الثمينة، وقد تكون قيمة الواحدة أكثر من قيمة الأخريات وقد يكون بالعكس.

إن لقراءة القرآن الكريم أصولاً وآدابًا، فأهم أصولها إخراج الحروف من مخارجها، وإعطاؤها حقها من تجويد التلاوة.

وأهم آدابها: التأمل والتدبر وحضور القلب.

ولا شك أنه كلما حصل التأني في القراءة: كانت فرص التدبر أكبر، وكلما أسرع القارئ كانت فرصة التدبر أقل حتى إذا أفرط في الإسراع تلاشت فرصة التدبر أو كادت حتى يصبح القرآن مجرد مرور على اللسان لا يصل القلب.

ومن آداب حملة القرآن: عدم المباهاة به، وعدم المراءة بكثرة قراءته.. وهذا مطلوب في كل عمل صالح يتقرب به إلى الله تعالى فان الرياء محبط للأعمال.

دروس مستفادة من الحديث:

يؤخذ من الحديث:

أولا: استحباب الذكر بعد صلاة الغداة - الفجر - إلى طلوع الشمس.

وهذا هو وقت أذكار الصباح على الراجح.

وقد كان ابن مسعود يسبح ولم يمنعه حضور الأضياف من الاشتغال عن التسبيح حتى طلعت الشمس.

ثانيًا: أن المكث في المسجد حتى طلوع الشمس ليس شرطًا في هذا الذكر وإن كان المكث في المسجد أفضل من الذكر في البيت.

ثالثًا: إن أفضل الصلاة إتمام الركوع والسجود.

لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)(رواه أبو داود وصححه الألباني).

قيل لعمار بن ياسر وقد صلى صلاة فخفف فيها: لقد أوجزت الصلاة فهلا كنت أطلت فيها فقال: ألم أتم ركوعها وسجودها؟ قالوا: بلى. قال: أما

على ذلك فقد دعوت فيها بدعاء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

رابعا: جواز الجمع بين السورتين في ركعة واحدة، خاصة في قيام الليل.

فقد روى أبو داود وصححه ابن خزيمة عن عبد الله بن شقيق قال:

سألت عائشة: أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع بين السور؟ قالت: نعم من المفصل.

قال عياض: حديث ابن مسعود هذا يدل على أن هذا القدر كان قدر قراءته صلى الله عليه وسلم غالباً، وأما تطويله وقراءته البقرة والنساء وآل عمران في ركعة فكان نادراً.

خامسًا: استدل بعضهم بقوله: عشرون سورة في عشر ركعات.

أن صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بالليل كانت إحدى عشرة ركعة. وقد ورد في ذلك حديث صحيح عن عائشة أم المؤمنين.

واستدل بقوله: إني لأعرف النظائر استحباب اختيار النظائر حين الجمع بين السور

وقد بيّن أبو داود هذه النظائر:

الرحمن والنجم في ركعة، واقتربت والحاقة في ركعة، والطور والذاريات في ركعة، والواقعة ونون في ركعة، وسأل سائل والنازعات في ركعة، وويل للمطففين وعبس في ركعة، والمدثر والمزمل في ركعة، وهل أتى ولا أقسم في ركعة، وعم والمرسلات في ركعة، والدخان واذا الشمس كورت في ركعة وقال الألباني: صحيح دون سرد السور.

قال المحب الطبري: كنت أظن من النظائر أنها متساوية في العد حتى فحصتها فلم أجد فيها شيئاً متساوياً. اهـ

فالمراد من النظائر التشابه في المعاني.

قال الشيخ عبد الرزاق البدر: إنّ هذا الأثر يُعطي المتأمّل صورة واضحة ودلالة ناصعة على تلك الحياة الجادّة والهمّة العالية والاستثمار للوقت عند السلف الصالح، ولا سيما الصحابة رضي الله عنهم، مع فقه منهم بالأوقات ومعرفة لأقدارها والفاضل منها، واعطاء كلّ ذي حقّ حقّه.

فهذا الوقتُ الذي دخل فيه أبو وائل ومَن معه على عبد الله ابن مسعود وقتٌ مباركٌ وثمينٌ للغاية، وهو وقتُ ذكرٍ لله وجدٍّ ونشاط وهمّة في الخير، إلاّ أنّ كثيراً من الناس يُهملونه ويفرّطون فيه ولا يعرفون له مكانته وقدره، فهو ضائعٌ إمّا في النوم، أو في الكسل والفتور، أو بشغله في التوافه من الأمور، مع أنّ أوّل اليوم بمنزلة شبابه، وآخره بمنزلة شيخوخته، وما يكون من الإنسان في باكورة اليوم وأوّله ينسحب على بقيّة يومه، نشاطاً أو كسلاً، ومَن أمسك بزمام اليوم وهو أوّله سلم له يومُه كلّه بإذن الله وأُعين فيه على الخير، وبُورك له فيه

وهذا المعنى مستفادٌ من أثر ابن مسعود، فإنّه رضي الله عنه لَمّا تحقّق له حفظ أوّل اليوم بالذّكر قال: "الحمدُ لله الذي أقالنا يومنا هذا ولم يهلكنا بذنوبنا.

وقد ثبت في السُّنّة أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم دعا الله أن يُبارك لأمّته في بكورها، وكان صلى الله عليه وسلم إذا بعث سريّة أو جيشاً بعثهم أوّل النهار.

ونظراً لأهميّة هذا الوقت وعظم بركته وكثرة ما فيه من خير، فإنّ السلف رحمهم الله كانوا يكرهون النّوم فيه واضاعته.

قال ابن القيم في زاد المعاد: ونوم الصُّبحة يمنع الرِّزق؛ لأنّ ذلك وقتُ تطلبُ فيه الخليقةُ أرزاقها، وهو وقتُ قسمة الأرزاق، فنومُه حرمانٌ إلاّ لعارضٍ أو ضرورة، وهو مُضرٌّ جدًا بالبدن لإرخائه البدن، وافساده للفضلات التي ينبغي تحليلُها بالرياضة، فيُحدثُ تكسُّراً وعيًا وضعفاً، وان كان قبل التبرُّز والحركة والرياضة واشغال المعدة بشيء فذلك الدّاء العُضالُ المولِّدُ لأنواع من الأدواء". اهـ.

وقد ذكر نحواً من هذا ابنُ مُفلح في الآداب الشرعية.

وبهذا يتبيّن قيمةُ هذا الوقت المبارك وعظمُ نفعه، وأنّه وقتُ جدٍّ ونشاط، وذكرٍ لله عزّ وجلّ، والحمد لله رب العالمين.

زواج حفصة بنت عمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم

إعداد د. سيد عبد العال
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد: فنحن على موعد مع حدث عظيم من أحداث السيرة النبوية، وهو حدث يحوي السعادة والفرح بفضل الله تعالى؛ وله اتصال وثيق بمعتقد أهل السنة والجماعة: ألا وهو زواج النبي صلى الله عليه وسلم من حفصة بنت عمر رضي الله عنهما.

أولا: مجمل الحدث:

تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ بن الخَطَّاب رَضِيَ الله عَنْهُمَا في شَعْبَانَ من السَّنَة الثَّالثَة للْهِجْرَة، بَعْد أن انْقَضَتْ عدَّتُهَا منْ زَوْجِهَا خُنَيْس بن حُذَافَةَ السَّهْميِّ-رضي الله عنه- الذي كانَ قَدْ تُوُفِّيَ عَنْهَا بَعْدَ بَدْر. الطبَقَات الكُبْرى (٨/٢٨٥)، وسير أعلام النبلاء (٢/٢٢٧).

وعَنْ عَبْد الله بن عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا: أَنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّاب-رضي الله عنه- حينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ منْ خُنَيْس بن حُذافة السَّهْميِّ-رضي الله عنه-، وَكَانَ منْ أَصْحاب رَسُول الله صلى الله عليه وسلم ممَّنْ شَهدَ بَدْرًا، وَتُوُفِّيَ بالمَدينَة، قَالَ عمَرُ: فلقيتُ عُثْمَانَ ابنَ عَفَّانَ-رضي الله عنه- فَعَرَضْتُ عليْه حَفْصَةَ، فقُلْتُ: إنْ شئْتَ أَنْكَحْتُكَ حفصةَ بنْتَ عُمَرَ، فقَالَ: سَأَنْظُرُ في ذلك، قَالَ: فلبثْتُ ليالي، فَلَقيَني، فقَالَ: مَا أريدُ النِّكاحَ يَوْميَ هذا. قَالَ عُمَرُ: فَلَقيتُ أبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ: إنْ شئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بنْتَ عُمَرَ، قَالَ: فَلَمْ يَرْجعْ إليَّ شَيْئًا، فَكُنْتُ عَلَيْه أَوْجَدَ منِّي عَلَى عُثْمَانَ، فلبثْتُ لَيَالي، فَخَطَبَهَا إليَّ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم، فَأَنْكَحْتُهَا إيَّاهُ، فَلَقيَني أَبُو بَكْر، فقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ في نَفْسكَ حينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ، فَلَمْ أَرْجعْ إلَيْكَ شَيْئًا؟ قَالَ: قُلْتُ: نعَمْ. قَالَ أَبُو بَكْر: فإنَّهُ لم يَمْنَعْني أَنْ أَرْجعَ إلَيْكَ شَيْئًا لما عَرَضْتَ عَلَيَّ إلاَّ أَنِّي سَمعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَذْكُرُهَا، وَلَمْ أَكُنْ أُفْشي سرَّ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم، وَلَوْ تَرَكَهَا لَنَكَحْتُهَا. صحيح البخاري (٥١٢٢).

ثانيا: الدروس والفوائد:

١-قوله "تأيمت" أي: مات زوجها خنيس. مطالع الأنوار (١/٣٥٩).

وقال ابن الجوزي: "تأيمت" أي بقيت بلا زوج، يقال: رجل أيم، وامرأة أيم: لا زوج لهما، وسواء كانت المرأة بكرًا أو ثيبًا. كشف المشكل (١/٣٢).

٢- التعريف بحفصة رضي الله عنها

هي: السِّتْرُ الرَّفيعُ بنت عمر بن الخطاب بن

نفيل بن عبد العزى بن رياح، وأمها زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب. الطبقات الكبرى (٨١/٨)، وسير أعلام النبلاء (٢٢٧/٢).

"مولدها": قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بخمس سنين.

وكانت تحت خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي من أصحاب الهجرتين: هاجر إلى الحبشة مع المهاجرين الأولين ثم هاجر إلى المدينة؛ وكان الوحيد من بني سهم الذي شهد إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا، وجُرِحَ في أُحُد، ثم مات في دار الهجرة متأثرًا بجراحه، وترك وراءه أرملته الشابة.

وتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم في شعبان على رأس ثلاثين شهرًا من الهجرة في سنة ثلاث، وقيل: سنة اثنتين، فكان ذلك قرة عين لأبيها عمر-رضي الله عنه- على صدقه وإخلاصه وتفانيه في سبيل هذا الدين، وعمر هو بطل الإسلام الذي أعزَ الله به الإسلام والمسلمين، ورفع به منار الدين.

وأمها وأم عبد الله بن عمر زينب بنت مظعون بن حبيب بن حذافة بن جمح، ومن فضلها: أن أباها عمر، وعمها زيد، وأخوالها عثمان وحذافة وعبد الله بنى مظعون، وابن خالها السائب بن عثمان، شهدوا جميعًا بدرًا؛ فكان اتصاله صلى الله عليه وسلم به عن طريق المصاهرة خير مكافأة له على ما قدم في سبيل الإسلام (موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام (١١٨/٩)، وانظر: الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين لعبد الرحمن بن محمد، وامتاع الأسماع (٤٦/٦)، والإصابة في تمييز الصحابة (٢٩٠/٢).

وقد كانت حَفْصَةُ رَضِيَ اللَّه عَنْهَا أَكْبَرَ مِنْ أخيها عَبْدِ الله بن عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا بِستِّ سنين، وَتُوُفِّيَتْ رَضِيَ الله عَنْهَا فِي شَعْبَانَ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ حَيْثُ بَايَعَ الْحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا مُعَاوِيَةَ-رضي الله عنه- فِي عَام الْجَمَاعَة، وَقِيل تُوُفِّيَتْ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ بِالْمَدِينَةِ، فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ بن أَبِي سُفْيَانَ- رضي الله عنه-، وَصَلَّى عَلَيْهَا مَرْوَانُ بنُ الْحَكَم، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ وَالِي الْمَدِينَة، وَدُفِنَتْ بِالْبَقِيع وَعُمُرُهَا سِتُّونَ سَنَةً، وَقِيل ثَلَاث وَسِتُّونَ. (الطَّبَقَات الْكُبْرَى (٢٨٧/٨)، وسير أعلام النبلاء (٢٢٩/٢).

٣- "ترتيب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم"

قال ابن نصر الدين: أول من تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة، ثم سودة، ثم عائشة، ثم حفصة، ثم أم المساكين زينب، ثم أم حبيبة، ثم أم سلمة، ثم زينب بنت جحش، ثم جويرية، ثم صفية، ثم ميمونة رضي الله عنهن. جامع الآثار في السير ومولد المختار (١٩١/٧).

وماتت اثنتان في حياته صلى الله عليه وسلم، وتوفي عن تسع هن: سودة، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة، وزينب بنت جحش، وأم حبيبة، وجويرية، وصفية، وميمونة، رضى الله عنهن. إمتاع الأسماع (٩٢/٦).

٤- فيه من الفقه أن الرجل يستحب له إذا تأيمت وليته أن يسعى لها في النكاح ولا يهملها.

٥- وفيه أيضًا أنه يستحب له أن يختار لها الأكفأ.

٦- وفيه أيضًا من الفقه أنه لا بأس بأن يخطب الرجل الرجل لابنته، ولا يقف حتى يبدأه الرجل بالخطبة كما فعل شعيب النبي عليه السلام؛ إذ قال لموسى عليه السلام: «إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين».

قال ابن حجر: وَفِيهِ عَرْضُ الْإِنْسَانِ بِنْتَهُ، وَغَيْرَهَا مِنْ مُولِيَاتِهِ عَلَى مَنْ يَعْتَقِدُ خَيْرَهُ وَصَلَاحَهُ لِمَا فِيهِ مِنَ النَّفْعِ الْعَائِدِ عَلَى الْمَعْرُوضَةِ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ لَا اسْتِحْيَاءَ فِي ذَلِكَ.

٧- وفيه أن عثمان لما قال: "قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا" علمنا أنه احترز لكلامه وتحرى الصدق فيقوله: "يومي هذا"، ولو لم يقله كان امتناعًا من التزويج على الإطلاق.

٨- وقوله: "فعرضتها على أبي بكر، فلم يرجع إلي شيئا فكنت عليه أوجد مني على عثمان"، وهذا لأن عثمان أفصح له فأراحه، وأبو بكر

لما لم يرد عليه شيئًا بل تركه على الانتظار والترقب لما يكون منه، ولذلك بادر رضي الله عنه إلى الاعتذار إليه عن هذا الإمساك؛ لأن رد جواب كل سائل عن قوله متعين، وإنما أمسك أبو بكر لمكان سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويدل هذا على أنه إذا روعي المهم من الأمر كحفظ سر رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتفر له الشيء اليسير من بعض الأمر كالتعرض لموجدة عمر، وكان ذلك سهلاً فيما بين الإخوان مع رجاء الإنابة في مستقبل الحال.

٩- وفي هذا الحديث ما يدل أيضًا على أن الصاحب ينبغي عليه أن يكتم من سر صاحبه ما لم يستكتمه إياه، فإن أبا بكر رضي الله عنه قال: "علمت أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ذكرها"، ولم يقل أسر إليّ ولا استكتمني.

١٠- فيه أيضًا أن أمر النكاح يُستعان على نجحه بالكتمان.

١١- فيه أَنَّهُ لَوْلاَ هَذَا العُذْرُ-وَهُوَ ذِكْرُ الرَّسُول صلى الله عليه وسلم لِحَفْصَةَ- لَقَبِلَهَا أَبُو بَكْرٍ-رضي الله عنه-، فيُستَفادُ مِنْهُ عُذْرُ أبي بَكْرٍ-رضي الله عنه- في كَوْنه لَمْ يَقُلْ كَمَا قَالَ عُثْمَانُ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لا أَتَزَوَّجَ.

١٢- وَفيه فَضْلُ كِتْمَانِ السِّرِّ، فَإِذَا أَظْهَرَهُ صَاحِبُهُ ارْتَفَعَ الحَرَجُ عَمَّنْ سَمِعَهُ.

١٣- وَفيه عِتَابُ الرَّجُلِ لأخيه، وَعَتْبُهُ عَلَيْه وَاعْتِذَارُهُ إِلَيْه، وَقَدْ جُبِلَت الطِّبَاعُ البَشَرِيَّةُ عَلَى ذَلك، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ سَبَبُ كِتْمَانِ أبي بَكْرٍ ذَلكَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يَبْدُوَ لِرَسُول الله صلى الله عليه وسلم أَنْ لا يَتَزَوَّجَ حَفْصَةَ، فَيَقَعُ في قَلْبِ عُمَرَ انْكِسَارٌ، وَلَعَلَّ اطِّلاعَ أبي بَكْر-رضي الله عنه- عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَصَدَ خِطْبَةَ حَفْصَةَ كَانَ بِإِخْبَاره لَهُ صلى الله عليه وسلم إِمَّا عَلَى سَبِيلِ الاسْتِشَارَة، وَإِمَّا لأَنَّهُ كَانَ لا يَكْتُمُ عَنْهُ شَيْئًا مِمَّا يُرِيدُهُ.

١٤- وَفيه أَنَّهُ لا بَأْسَ بِعَرْضِهَا عَلَيْه وَلَوْ كَانَ مُتَزَوِّجًا؛ لأَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ حِينَئِذٍ مُتَزَوِّجًا.

(الإفصاح (١/٧٧)، وفتح الباري (١٠/٢٢٢)، واللؤلؤ المكنون (٢/٥٦٠)).

ثالثا: طلاقُ الرَّسُول صلى الله عليه وسلم حفْصَةَ رضِيَ الله عنْها ومُراجعتَهُ إيَّاها:

وَكَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم قَدْ طَلَّقَ حَفْصَةَ ثُمَّ رَاجَعَهَا، كما في حديث ابْنِ عَبَّاس، عَنْ عُمَرَ: "أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَلَّقَ حَفْصَةَ، ثُمَّ رَاجَعَهَا" سنن أبي داود (٢٢٨٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٠٠٧).

وَأَخْرَجَ ابْنُ حبَّانَ في صَحيحه بِسَنَد جَيِّد وَالطَّحَاوِيُّ في شَرْح مُشْكِل الآثَار بِسَنَد صَحِيح عَلَى شَرْط البُخَارِيِّ عَن ابْن عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: دَخَلَ عُمَرُ عَلَى حَفْصَةَ وَهِيَ تَبْكِي، فَقَالَ: مَا يُبْكِيك؟ لَعَلَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم طَلَّقَك؟ إِنَّهُ قَدْ كَانَ طَلَّقَك، ثُمَّ رَاجَعَك مِنْ أَجْلِي، فَأَيْمُ الله لَئِنْ كَانَ طَلَّقَك، لا كَلَّمْتُك كَلِمَةً أَبَدًا.

قال الألباني: وجملة القول، أن تطليقه صلى الله عليه وسلم لحفصة ثابت عنه من طرق، وكونه أمر بإرجاعها ثابت من حديث أنس الصحيح، وقول جبريل له: "رَاجعْها فإنها صوامة... " إلخ، حسن كما ذكرنا. والله أعلم. سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/١٧).

وفي هذا الحديث تنبيه على فضلها والثناء عليها بكثرة الصيام والقيام، والإخبار بأنها زوجته صلى الله عليه وسلم في الجنة.

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: "ومن خواصها: ما ذكره الحافظ أبو محمد المقدسي في مختصره في السيرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم طلقها فأتاه جبريل فقال: "إن الله يأمرك أن تراجع حفصة فإنها صوامة قوامة وإنها زوجتك في الجنة"(وحسنه الألباني).

وكل ما تقدم من ذكر مناقبها رضي الله عنها يدل على رفعة مكانتها وجلالة قدرها رضي الله عنها وأرضاها. (عقيدة أهل السنة في الصحابة لناصر بن علي ١/٤٤١).

والحمد لله رب العالمين.

ثمرات تربوية من الهجرة النبوية

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا مُحمَّد وعلى آله وصَحْبه أجْمعين. أما بعد: فإن هجرة نبينا صلى الله عليه وسلم وأصحابه، من مكة إلى المدينة، شرف عظيم ومنزلة سامية نالها المهاجرون، وهذه الهجرة المباركة ليست حدثاً عادياً، وإنما هي رمز للتضحية والفداء من أجل الإسلام. ولذلك أحببت أن أذكر نفسي وطلاب العلم الكرام ببعض الثمرات التربوية المباركة من الهجرة النبوية، ليضعها المسلم أمام عينيه ليسير على ضوئها في حياته، فيسعد في الدنيا والآخرة، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

إعداد الشيخ صلاح نجيب الدق

فرع بلبيس

(١) أعداء الإسلام لنا بالمرصاد

إن أعداء الإسلام في كل مكان وزمان للمسلمين بالمرصاد، وهذه حقيقة ثابتة منذ أن أشرقت شمس الإسلام على العالم، ويتضح ذلك جلياً في هجرة نبينا صلى الله عليه وسلم وأصحابه بدينهم من مكة إلى المدينة، حيث تحمل نبينا صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لا يتحمله بشر، وكذلك أصحابه الكرام مثل، بلال، وياسر وعمار وسمية وغيرهم؛ حيث منعهم المشركون من إقامة شعائر الإسلام. لقد اجتمع المشركون في دار الندوة لإعداد خطة يتخلصون بها من نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن الله تعالى كان لهم بالمرصاد. قال الله تعالى: (وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ) (الأنفال:٣٠).

فيجب علينا أن نكون على حذر من أعدائنا ونعد لهم ما استطعنا من قوة، حتى لا نُؤخذ على غـرَّة. قال الله تعالى: (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ) (الأنفال: ٦٠).

(٢) الهجرة من المعصية إلى الطاعة

إن من أعظم الثمرات المستفادة من الهجرة هي هجرة المعاصي والذنوب وأن يلزم المسلم التوبة النصوح والندم على ما فرَّط في حق الله تعالى، وحق رسوله صلى الله عليه وسلم، وحق نفسه، وحق المسلمين الكرام. قال الله تعالى: (وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ) (النور: ٣١) والتوبة النصوح لها شروط:

١- الإقلاع عن المعصية.

٢- أن يندم على فعلها.

٣- أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً.

٤- رد المظالم إلى أهلها.

كيفَ يُهاجرُ المسلمُ بجوارحه؟

يهاجر بلسانه من الكذب إلى الصدق. ويهاجر بعينيه من النظر إلى ما حرمه الله عليه إلى

النظر إلى ما أحله الله له. ويهاجر بأذنيه من الاستماع إلى الغناء المحرَّم والمعازف إلى الاستماع إلى القرآن وأحاديث نبينا صلى الله عليه وسلم ودروس العلم النافع المشروعة وكل ما ينفع المسلم في دينه ودنياه. ويهاجر بيده من الكسب الحرام إلى الكسب الحلال. ويهاجر بقدمه من أماكن المعاصي واللهو إلى المساجد وأماكن الطاعات وطلب العلوم النافعة المشروعة التي فيها خدمة الإسلام والمسلمين. ويهاجر بقلبه إلى الله تعالى وهجرة القلب تعني أن يكون دائماً متعلقاً بالله تعالى وحده في جميع أحواله. وهذه أعظم هجرة. ويجب على المسلم أن يهجر البدعة إلى السُّنة. فيتَّبع نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم في جميع الاعتقادات والأقوال والأفعال.

(٣) حسْن التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب المشروعة

إن حُسن التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب يظهر جلياً في إعداد نبينا صلي الله عليه وسلم لخطة الهجرة إلى المدينة، وإعداد أبي بكر الصديق للراحلتين مسبقاً، واستئجار نبينا صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن أريقط المشرك ليكون دليلاً له أثناء الهجرة، ثم أنه أمر علياً أن ينام على فراشه في ليلة الهجرة، ليظن المشركون أن نبينا صلى الله عليه وسلم لا يزال نائماً في فراشه. ويظهر الأخذ بالأسباب أيضاً في تكليف عبد الله بن أبي بكر الصديق وأخته أسماء وعامر بن فهيرة بمهام محدودة يقومون بها، وخروج الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر من الباب الخلفي لمنزل أبي بكر؛ حتى لا يراهما أحد من المشركين.

(٤) التضحية والصبر على الأذى من أجل الإسلام

يظهر ذلك بصورة واضحة في هجرة نبينا صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بلدهم مكة المكرمة وهي أحب بلاد الله تعالى إلى الله تعالى وهي التي ولدوا فيها وعاشوا فيها، وذلك من أجل الإسلام. وعَنْ عَبْد الله بْن عَدِيّ ابْن حَمْراء الزُّهْرِيّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ الله صَلَى الله عَلَيْه وَسَلَّم وَاقِفًا عَلَى الْحَزْوَرَة (تل صغير خارج مكة) فَقَالَ: وَالله إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ الله وَأَحَبُّ أَرْضِ الله إِلَى الله، وَلَوْلا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ. (صحيح الترمذي للألباني حديث ٣٠٨٢)

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم لِمَكَّةَ: مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ. (صحيح الترمذي للألباني حديث ٣٠٨٣).

ويظهر هذا الدرس في موقف أبي بكر الصديق أثناء الهجرة مع نبينا صلى الله عليه وسلم؛ حيث كان أبو بكر يتمنى أن يفتدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحياته وبكل ما يملك؛ ابتغاء وجه الله تعالى.

(٥) الشباب الصادق هم دعائم الإسلام

إن الشباب المسلم الصادق (ذكوراً و إناثاً) من أصحاب العقيدة الصحيحة، هم دائماً دعائم الإسلام. ويظهر هذا واضحاً في موقف أسماء بنت أبي بكر الصديق والتي كانت لها مهمة بارزة أثناء الهجرة. وفيما قام عبد الله بن أبي بكر الصديق وعامر بن فهيرة، حيث كانا يحملان أخبار مكة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. وعلي بن أبي طالب الذي استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم لينام في فراشه حتى يخدع المشركين. (سيرة ابن هشام جـ٢ صـ٨٩: صـ٩٤).

(٦) حسْن اختيار الصديق والرفيق

ينبغي للمسلم أن يحسن اختيار صديقه ومن يرافقه في السفر؛ بحيث يكون مسلماً صالحاً أميناً، ناصحاً لغيره من الناس، ويظهر ذلك في اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي بكر الصديق لكي يكون مرافقاً له في هجرته من مكة إلى المدينة. ومن المعلوم أن الإنسان يتأثر عادة بأخلاق وأفعال من يرافقه. ولذا حثنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على حسن اختيار الصديق: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَى الله عَلَيْه وَسَلَّم قَالَ: الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِه؛ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِل. (حديث حسن: مسند أحمد جـ٢ صـ٣٣٤).

(٧) جواز الاستعانة بغير المسلمين عند الضرورة

يجوز للمسلم أن يستعين بغير المسلمين من ذوي الأمانة والخبرة في المجال الذي يريده

وذلك عند الضرورة فقط. ويظهر ذلك عند هجرة نبينا صلى الله عليه وسلم إلى المدينة؛ حيث استأجر عبد الله بن أريقط، وكان مشركاً، ليدله على الطريق إلى المدينة. فعن عائشة زَوْج النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَتْ: واسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِن بَنِي الدِّيلِ هادِيًا خِرِّيتًا (الخبير بطرق الصحراء)، وهُوَ علَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فَدَفَعَا إلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِما ووَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ بِرَاحِلَتَيْهِما صُبْحَ ثَلَاثٍ. (البخاري حديث ٢٢٦٤).

وعلى ذلك نقول: يجوز للمريض المسلم أن يذهب للعلاج عند طبيب غير مسلم في حالة الضرورة بشرط أن يكون هذا الطبيب خبيراً بالطب وموثوقاً به عند الناس. قال ابنُ تيمية: إذا كَانَ الْيَهُودِيُّ أَوْ النَّصْرَانِيُّ خَبِيرًا بِالطِّبِّ ثِقَةً عِنْدَ الْإِنْسَانِ جَازَ لَهُ أَنْ يَسْتَطِبَّ، كَمَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُودِعَهُ الْمَالَ وَأَنْ يُعَامِلَهُ كَمَا قَالَ تعالى: (وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا). (آل عمران: ٧٥). (الآداب الشرعية لابن مفلح الحنبلي جـ٢ صـ٤٤١).

(٨) التعاون والمحافظة على الأسرار من أسباب نجاح العمل

يظهر هذا الدرس جلياً في هجرة نبينا إلى المدينة؛ حيث لم يعلم أحد من الناس بالوقت المحدد للهجرة إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر، أما علي فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره بخروجه وأَمَرَهُ أَنْ يَتَخَلَّفَ بَعْدَهُ بِمَكَّةَ حَتَّى يُؤَدِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْوَدَائِعَ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُ لِلنَّاسِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَيْسَ بِمَكَّةَ أَحَدٌ عِنْدَهُ شَيْءٌ يُخْشَى عَلَيْهِ إلَّا وَضَعَهُ عِنْدَهُ؛ لِمَا يُعْلَمُ مِنْ صدقه وأمانته صلى الله عليه وسلم. (سير ابن هشام جـ٢ صـ٩٢).

(٩) الله تعالى ينصرُ من ينصره

إن تأييد الله تعالى لعباده المؤمنين الصادقين ونصرته لهم حقيقة ثابتة منذ فجر التاريخ، ويظهر هذا بصورة واضحة عندما صرف الله تعالى المشركين عن دخول الغار الذي يختبئ فيه نبينا صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق أثناء الهجرة من مكة إلى المدينة.

قال الله تعالى: (إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (التوبة: ٤٠)، وعن أنس قال: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ كُنْتُ مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم في الغارِ فَرَأَيْتُ آثارَ المُشْرِكِينَ، قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ لو أنَّ أحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَآنا. قالَ: ما ظَنُّكَ باثْنَيْنِ اللَّهُ ثالِثُهُما. (البخاري حديث ٤٦٦٣).

(١٠) الله تعالى يستجيب دعاء عباده المخلصين ويتضح ذلك جليا في سرعة استجابة الله تعالى لدعاء نبيه صلى الله عليه وسلم أثناء الهجرة.

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (وهو يتحدث عن أحداث الهجرة) قال: فَالْتَفَتَ أَبُو بَكْرٍ فَإِذَا هُوَ بِفَارِسٍ قَدْ لَحِقَهُمْ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا فَارِسٌ قَدْ لَحِقَ بِنَا فَالْتَفَتَ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ اللَّهُمَّ اصْرَعْهُ فَصَرَعَهُ الْفَرَسُ، ثُمَّ قَامَتْ تُحَمْحِمُ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مُرْنِي بِمَا شِئْتَ. قَالَ: فَقِفْ مَكَانَكَ لَا تَتْرُكَنَّ أَحَدًا يَلْحَقُ بِنَا. قَالَ: فَكَانَ أَوَّلَ النَّهَارِ جَاهِدًا عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَكَانَ آخِرَ النَّهَارِ مَسْلَحَةً لَهُ. (البخاري حديث ٣٩١١).

قال الله تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) (البقرة: ١٨٦)، وقال جل شأنه: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)(غافر: ٦٠).

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ، وَأَصْحَابِهِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

فقه التعامل مع القرآن الكريم

إعداد أ. د محمد حامد
الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن بالأزهر

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعدُ: فحقيق بكلِّ متحدث عن القرآن الكريم أو ناظرٍ فيه أن يستحضر خصائصه، ويُراعيَ صفاته وقدسيته حتى يَسلم من الزلل، والوقوع في سوء التعامل مع القرآن الكريم.

ولْتعلمْ-أخي الكريم- أن التعامل مع القرآن الكريم ينبغي أن يكون قائمًا على صحة الفهم، وحسن القصد، وانما يأتي الخلل عند فقد هذين الأمرين أو أحدهما.

واذا أنعم الله على العبد بصحة الفهم وحسن القصد وجد في القرآن الكريم ما يشفي صدره، ويداوي قلبه، ويزكي نفسه، ويحقق مبتغاه، وصار من المهتدين المفلحين.

قال ابن القيم رحمه الله: "صِحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده، بل ما أُعطيَ عبدٌ عطاءً بعد الإسلام أفضل ولا أجلَّ منهما، بل هما ساقا الإسلام، وقيامُه عليهما، وبهما بايَنَ العبدُ طريقَ المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم، وطريقَ الضَّالين الذين فسدت فهومهم، ويصير من المُنْعَم عليهم الذين حَسُنت أفهامهم وقصودهم، وهم أهل الصراط المستقيم، الذين أمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة" (إعلام الموقعين لابن القيم ٢/ ١٦٤).

ومن أنفع ما يساعد العبد على تحقيق ذلك: معرفته بخصائص القرآن الكريم، ومراعاته لها في كل ما يتعلق بالقرآن من أحوال.

ودونك نبذة عن أهم تلك الخصائص التي دلت الأدلة عليها، وأطبق عليها الأمة.

أولًا: القرآن الكريم كلام الله

يعتقد المسلمون أن القرآن الكريم مصدره ومرده إلى الله رب العالمين وحده فهو كلامه الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وقد تضافرت الأدلة على تقرير ذلك وتوكيده فمن ذلك: قوله تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا »(سورة الإنسان:٢٣)، وقوله تعالى: «وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ » (الشعراء: ١٩٢)، وقوله تعالى: «وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ » (سورة النمل:٦)، وقوله تعالى: « وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا » (سورة الفرقان: ٥- ٦)، وقوله تعالى: «وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ »(سورة التوبة: ٦).

وإذا أضيف القرآن إلى أحد الرسولين جبريل أو محمد عليهما السلام فبالنظر إلى أنهما مرسلان به لا منشئان له، ولعل هذا هو السر في التعبير بكلمة "رسول" في قوله تعالى: «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ » في (سورتي الحاقة: ٤٠،

والتكوير:١٩)؛ حيث قصد بآية سورة الحاقة الرسول محمدًا صلى الله عليه وسلم، وفي آية سورة التكوير الرسول الملكي جبريل عليه السلام كما يدل عليه سياق الآيتين، ولم يقل: إنه لقول ملك أو إنه لقول نبي؛ إذ هو في حقيقة الأمر قولُ من أرسلهما، وليس لهما منه إلا شرف البلاغ.

ومن ردَّد كلام غيره لم يقطع بذلك صلة الكلام بمن تكلم به ابتداء كما لا يخفى على ذي لُبّ.

ثانيا: القرآن الكريم وحي من الله إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه.

أوحى الله القرآن الكريم إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة الروح الأمين وهو جبريل عليه السلام، ولم يكن قبل ذلك الوحي ذا علم بشيء من ذلك الموحَى به، ولا آملاً في مجيئه إليه. وقد جاء في بيان ذلك آيات كثيرة منها قوله تعالى: « نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ » (سورة يوسف:٣)، وقوله تعالى: « وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ » (سورة القصص: ٨٦)، وقوله تعالى: « قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ »(سورة البقرة: ٩٧).

وهذا الوحي بالقرآن لم يكن بالمعنى فحسب، وانما كان وحيًا باللفظ والمعنى؛ ولذا فقد كان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم حريصا على ترديد ما يلقيه عليه جبريل- عليه السلام- من القرآن خشية أن يتفلت منه شيء فأنزل الله قوله: « لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ » (سورة القيامة: ١٦- ١٩)، وقال-جل ذكره-معلما إياه: « وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا » (سورة طه: ١١٤)، وربما رغب الرسول صلى الله عليه وسلم في مزيد من الوحي، وقال لجبريل: "ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فأنزل الله قوله: « وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا » (سورة مريم: ٦٤) (أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٩٤) حديث٤٧٣١).

وقد أعلمه الله جلَّ ذكره أنه متبع لما يوحى إليه مستسلم له ليس إليه أمر تبديله أو تقديم نزوله، أو تأخيره فقال تعالى: « وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ » (سورة يونس: ١٥)، وقال تعالى: « وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى »(سورة الأعراف: ٢٠٣) وذلك أنه ربما تأخر الوحي عنه، فكان الكفار يقولون هلاَّ اجتبيتها، أي: هلا اخترتها واختلقتها من قبلك ومن عند نفسك؛ إذ كلامك كله كذلك وهذا على ما كانت قريش تزعمه من أنه من عنده. أو أن المراد هلا تلقيتها من الله وتخيرتها عليه؛ إذ تزعم أنك نبي وأن منزلتك عنده منزلة الرسالة، فأمره الله عز وجل أن يجيب بالتسليم لله تعالى وأن الأمر في الوحي إليه ينزله متى شاء لا معقب لحكمه في ذلك. (ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي(٢/ ٤٩٢)).

والحكم بأن القرآن الكريم لفظه ومعناه من الله عام ليس في القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يَخرج عن هذا الحكم، أو يستثنى منه.

قال ابن حزم في كتابه "مراتب الإجماع" تحت عنوان: بَاب من الإجماع في الاعتقادات يكفر من خَالفه بإجماع: وَأن الْقُرْآن المتلو الَّذي في المصاحف بأيدي النَاس في شرق الأرض وغربِها من أول «الْحَمْدُ لله رَبّ الْعَالمينَ» إلى آخر «قلْ أَعُوذُ بِرَبّ النَّاس» هو كلام الله عز وجل ووحيه أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم مختارًا له من بين الناس" (مراتب الإجماع لابن حزم الأندلسي ص١٧٣).

ثالثا: قدسية القرآن الكريم ذاتية لا مُضافة عليه

القرآن الكريم قدسيته ذاتية . وليست مضافة عليه من قبل أحد، أو متأخرة عن نزوله، أو مستفادة من الواقع، وهذا أمر لا ينبغي أن يخالف فيه من يعتقد أن القرآن وحي من الله رب العالمين؛ ولذا فقد وصف الله القرآن بأوصاف تدل على مكانته، وقدسيته، وحرمته فوصفه

بالعزة، والمجد، والكرم، والحكمة، والعظمة، وغير ذلك، وهو حقيق بأن يُعظّم ويقدّس، وقد بين الله أنه ذو حرمة وقدسية عند أهل السماء فليكن كذلك بين أهل الأرض قال تعالى: «إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ» (سورة الواقعة: ٧٧- ٨٠)، وهذا فيه أن المنزل من رب العالمين هو القرآن الكريم وأنه الذي في الكتاب المكنون لا غيره.

ومن قدسية القرآن أن يعلم أن تلاوة القرآن ليست كغيرها من تلاوات: "فإن التالي للكلام بمنزلة المكالم لذي الكلام وهذا غاية التشريف من فضل الكريم العلام" (البرهان في علوم القرآن للزركشي(١/٤٥٩)).

ومن قدسيته أيضا: ألاّ يُعتدى عليه بتحريف، وألاّ يُتكلم في تفسيره أو تأويله بدون حجة، وألاّ تُردَّ أحكامه، أو يُدَّعى فيه قصور، أو خلل، أو تناقض، أو كذب؛ لأن الطاعن فيه طاعن في منزله. قال تعالى: «وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ» (سورة: الأنعام: ١١٥) "أي: صدقا في الأخبار وعدلا في الأحكام، فكله حق وصدق وعدل وهدى ليس فيه مجازفة ولا كذب ولا افتراء"(تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/١٩٩).

رابعا: القرآن الكريم محفوظ كله بحفظ الله له من التبديل أو الزيادة أو النقصان

من الخصائص التي تميز بها القرآن الكريم عن غيره من الكتب المنزلة الأخرى كالتوراة والإنجيل تكفل الله بحفظه له دون أن يكل ذلك إلى المخلوقين، وهذا ما قرره الحق سبحانه وتعالى في قوله: «إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ» (سورة الحجر: ٩)، والذكر هنا هو القرآن في قول جميع المفسرين، قاله ابن الجوزي في (زاد المسير ٢/٥٢٥)، والمعنى: لحافظون للقرآن من أن يبدل أو يغير، كما جرى في سائر الكتب المنزلة.

والذي عليه أكثر المفسرين أن الضمير في قوله: "لَهُ" عائد إلى القرآن الكريم، وثمَّ قول بأن الضمير في:" له" يعود على الرسول صلى الله عليه وسلم أي: وإنا لمحمد صلى الله عليه وسلم لحافظون، واستندوا إلى أنه لما ذكر الله الإنزال والمنَزّل دل ذلك على المنزَل عليه فحسُنت الكناية عنه، لكونه أمرا معلوما لكنّ القول الأول-وهو أنه عائد على الذكر الذي هو القرآن- قول الأكثرين وهو أرجح القولين وأحسنهما مشابهة لظاهر التنزيل، والأصل عود الضمير على المذكور لا على غيره (ينظر: مفاتيح الغيب ١٩/١٢٣).

قال الإمام الرازي: "اختلفوا في أنه تعالى كيف يحفظ القرآن قال بعضهم: حفظه بأن جعله معجزًا مباينًا لكلام البشر فعجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان عنه؛ لأنهم لو زادوا فيه أو نقصوا عنه لتغيّر نظم القرآن فيظهر لكل العقلاء أن هذا ليس من القرآن فصار كونه معجزا كإحاطة السور بالمدينة لأنه يحصنها ويحفظها، وقال آخرون: إنه تعالى صانه وحفظه من أن يقدر أحد من الخلق على معارضته، وقال آخرون: أعجز الخلق عن إبطاله وإفساده بأن قيّض جماعة يحفظونه ويدرسونه ويشهرونه فيما بين الخلق إلى آخر بقاء التكليف، وقال آخرون: المراد بالحفظ هو أن أحدًا لو حاول تغييره بحرف أو نقطة لقال له أهل الدنيا: هذا كذب وتغيير لكلام الله تعالى.

ومن أعظم أسباب حفظ القرآن: كونه الرسالة الخاتمة الخالدة الباقية التامة التي تصلح لكل زمان ومكان والله على كل شيء قدير، وذلك أن "ترك حفظ الكتاب الخاتم للبشر، الذين يجوز عليهم الإهمال، والتحريف، والنسيان معناه طروء وحدوث التحريف والضياع لهذا الكتاب، حيث لا وحي سيأتي، ولا رسول سيبعث، ولا كتاب سينزل... الأمر الذي لو حدث-افتراضا- سيضل الناس، ولا رعاية لهم، ولا حجة عليهم..." (حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين ص٣٠١- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٢٤ه-٢٠٠٣م).

نسأل الله أن يهدينا صراطه المستقيم، وأن يدخلنا جنات النعيم، ويقينا عذاب الجحيم، والحمد لله رب العالمين. والله ولي التوفيق.

بنو إسماعيل وبنو إسرائيل

إعداد **الشيخ إبراهيم حافظ رزق**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن الصراع بين المسلمين واليهود ليس وليد الساعة، بل هو صراع قديم وممتد إلى أن يقضي الله أمرًا كان مفعولاً، وهذا الصراع ليس كما يظن البعض أنه صراع على الأرض بل هو صراع دين وعقيدة.

فاليهود يقاتلون المسلمين على أساس ديني وعقدي زاعمين أن الله سبحانه وعد الخليل إبراهيم عليه السلام أن مُلك بني إسرائيل سيمتد من النيل إلى الفرات، فهم يسعون لتحقيق هذا الوعد المزعوم، وسعوا منذ القدم على قيام دولة تؤوي يهود العالم لتحقيق هذا الزعم، فالدارس لتاريخ قيام دولة إسرائيل يرى أن اليهود عقدوا مؤتمرًا لهم في مدينة بازل السويسرية عام ١٨٩٨م ناقشوا فيه قيام دولتهم، وكان يتزعمهم الصهيوني الأول «هرتزل»، وخرجوا من هذا المؤتمر متفقين على قيام دولة إسرائيل خلال خمسين عامًا، وقد تم لهم ذلك؛ حيث أعلنوا قيام دولتهم في ١٥ مايو ١٩٤٨م بمساعدة الدول العظمى في ذلك الوقت بريطانيا العظمى، والتي كانت فلسطين تحت حمايتها، وكلنا سمع عن وعد «بلفور» وزير خارجية بريطانيا، والذي أعطى به مَن لا يملك مَن لا يستحق؛ حيث وعد اليهود بقيام دولتهم على أرض فلسطين.

ولا تعجب أخي المسلم من وقوف دول الغرب إلى جانب إسرائيل في صراعها مع المسلمين فإنما هم الذين زرعوها في قلب العالم الإسلامي لتكون شوكة في حلق المسلمين.

ولو عُدنا إلى بداية تاريخنا الإسلامي لأدركنا أن اليهود وهم الذين كانوا يسكنون المدينة قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، وعاهدهم الرسول حين هاجر من مكة إلى المدينة لم يلتزموا بعهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل أظهروا له العداوة منذ قدومه المدينة، وعملوا على إثارة الفتن في المجتمع المسلم، وخانوا عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطروه لإجلائهم عن المدينة وإبعادهم عنها؛ كما ذكرت كتب السيرة عن يهود بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة.

وليس هذا غريبًا ولا عجبًا أن يصدر عن اليهود فإنهم طوال تاريخهم ما وفوا بعهد مع الله ولا مع أنبيائهم وكانوا أكثر الناس إيذاءً لأنبيائهم بل قتلوا كثيرًا من الأنبياء كما حكى القرآن الكريم: «فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ» (النساء: ١٥٥).

وهؤلاء اليهود لم يكونوا أمناء على دين الله فاقتضت حكمة الله أن تنتقل النبوة والرسالة من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل، وقد كان اليهود ينتظرون خروج نبي آخر الزمان، ويظنون أن سيكون منهم وفيهم، فكان يهود المدينة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم يستفتحون بهذا النبي على الأوس والخزرج قائلين: يوشك نبي آخر الزمان أن يخرج ونقتلكم معه قتل عاد وثمود.

ولكنهم لما بعث الله محمدًا عليه الصلاة والسلام ولم يكن من بني إسرائيل حسده اليهود وأنكروا نبوته؛ قال الله تعالى: «وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ» (البقرة: ٨٩).

وكلنا نعلم كم حاول يهود المدينة قتل رسول الله

محمد صلى الله عليه وسلم كما فعل بنو النضير حين ذهب إليهم الرسول كي يشاركوه في دية أحد القتلى، وكيف أنهم أوعزوا إلى أحدهم أن يصعد على سطح بيت فيلقي صخرة على الرسول كي يتخلصوا منه، وكيف أنهم حاولوا قتله بالسم أيضًا عن طريق زوجة سلام ابن مشكم حين قدمت له كتف الشاة المسمومة والتي كان أثرها لا يزال يعاوده صلى الله عليه وسلم حتى مات ،وعن عائشة: «ما زالت أكلة خيبر تعاودني»(صحيح الجامع ح(٥٦٢٩)).

فلا تعجب أخي المسلم بما يفعله أحفاد حيي بن أخطب وسلام بن مشكم وكعب بن الأشرف، لا تعجب بما يفعله هؤلاء الصهاينة بإخواننا في غزة من قتل وتشريد وهدم وتدمير؛ فإنهم طوال عهدهم لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، ولا يحفظون عهدًا قطعوه على أنفسهم؛ فالخيانة في دمهم وطبعهم: «وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ» (المائدة: ١٣).

فعداوتهم للإسلام وأهله ظاهرة واضحة لا تحتاج إلى مزيد بيان، ويكفي قول الله عنهم: «وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ» (البقرة: ١٢٠)، وقوله تعالى: «لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ» (المائدة: ٨٢).

والصراع بين اليهود والمسلمين لن يتوقف حتى قيام الساعة، وحل القضية الإسلامية في فلسطين ليس حلها عند الأمم المتحدة ولا عند مجلس الأمن، إنما حلها علمه عند الله حين يريد الله وحين يتحقق وعد الله لعباده المؤمنين حين يعود المسلمون إلى ربهم ودينهم وحين نحقق العبودية لله رب العالمين الذي يقول: «بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا» (الإسراء: ٥).

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول فيما صح عنه: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا شجر الغرقد فإنه من شجر اليهود». (رواه مسلم ح(٢٩٢٢)).

فصراع بني إسماعيل مع بني إسرائيل لن يتوقف، وما هو إلا مرحلة من مراحل الصراع بين الحق والباطل، والضربات التي يتعرض لها الإسلام في زماننا هذا ليست جديدة، ولن تضعفه بل تزيده قوة، فلقد هزم المسلمون في أحد، وزلزلوا زلزالًا شديدًا يوم الأحزاب، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت يوم حنين، وبقي الإسلام، واجتاح الصليبيون في العصور الوسطى المشرق الإسلامي وكونوا لهم إمارات صليبية في بيت المقدس وغيرها من بلاد المسلمين، ثم قيض الله لأمة الإسلام صلاح الدين الأيوبي، فوحد الله به أمة الإسلام وقاتل الصليبين وهزمهم في حطين، واستعاد بيت المقدس إلى حظيرة الإسلام بعد أن بقي في أيدي الصليبين تسعين عامًا. وكذلك اجتاح التتار بلاد العالم الإسلامي عام ٦٥٦هـ، ودخلوا عاصمة الخلافة بغداد ودمروها وقتلوا الخليفة العباسي، ثم قيض الله لهذه الأمة من قاتل التتار وأزاحهم عن أرض الإسلام.

وفي عصرنا الحديث تم تقسيم بلاد العالم الإسلامي بين الدول الاستعمارية: إنجلترا وفرنسا وإيطاليا، وهولندا والبرتغال، وغيرها من الدول، وإن كانوا خرجوا بجيوشهم وجنودهم إلا أنهم تركوا خلفهم أذنابًا لهم ينشرون باطلهم بين المسلمين في بلاد المسلمين.

ونحن معشر المسلمين لن تقوم لنا قائمة إلا بالعودة إلى ديننا الحنيف والأخذ من منبعيه الصافيين القرآن والسنة. ونحن لن تغني عنا كثرتنا شيئًا في مواجهة الباطل الذي يجتاح العالم؛ فنحن كثيرون عددًا لكن لا قيمة لهذه الكثرة كما أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»؛ فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن»؛ فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «حبّ الدنيا وكراهية الموت». صححه الألباني في صحيح الجامع وصحيح أبي داود.

نسأل الله أن يردنا إلى الإسلام ردًا جميلًا، وأن ينصر دينه وكتابه وسنة رسوله وعباده المؤمنين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

الأمر بالاجتماع والنهي عن الفرقة

قال الله تعالى: "وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" (الأنعام: ١٥٣)

من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، علِّمني دعاءً أدعو به في صلاتي، قال: «قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم» (صحيح البخاري)

فضل الصيام في شهر المحرم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة في جوف الليل، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم". (صحيح مسلم)

من فضائل الصحابة

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «اقتدوا باللَّذيْن من بعدي: أبي بكر وعمر» (سنن الترمذي) وصححه الألباني

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «دعوني ما تركتكم، فإنّما أهلَكَ مَن كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم. (صحيح البخاري)

فضل صيام يوم عاشوراء

عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم عاشوراء؟ فقال: يُكفِّر السنة الماضية. (صحيح مسلم)

من دلائل النبوة

إجابة الله دعاء نبيه صلى الله عليه وسلم

عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوم بدر في ثلاثمائة وخمسة عشر فقال: اللهم إنهم حفاة فاحملهم، اللهم إنهم عراة فاكسهم، اللهم إنهم جياع فأشبعهم؛ ففتح الله له فانقلبوا وما منهم رجل إلا وقد رجع بجمل أو جملين واكتسوا وشبعوا

(رواه أبو داود)

إعداد: علاء خضر

من أقوال السلف

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "كل بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة"

(سنن الدارمي)

حكم ومواعظ

قال محمد بن واسع رحمه الله: إني لأغبط رجلاً معه دينه، وما معه من الدنيا شيء، وهو راضٍ.

(سير أعلام النبلاء للذهبي)

البدع الواقعة في يوم عاشوراء

يقول الشقيري: أما قراءة دعاء عاشوراء المذكور في مجموع الأوراد فبدعة منكرة، ومثله دعاء أول السنة وآخرها، وهما بدعة منكرة وضلالة، وقولهم في دعاء عاشوراء: إن من قرأه لم يمت تلك السنة، كذبٌ في الدين وجرأة على الله.

(السنن والمبتدعات)

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

"لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة جعل النساء والصبيان والولائد يقولون: طلع البدر علينا من ثنيات الوداع... وجب الشكر علينا ما دعا لله داع. (ضعيف)؛ رواه أبو الحسن الخلعي في الفوائد، وكذا البيهقي في دلائل النبوة". (السلسلة الضعيفة للألباني).

من حكمة الشعر

قال الشافعي في تفريج الهموم:

سهرت أعينٌ ونامت عيونُ
في أمورٍ تكونُ أو لا تكونُ
فادرأ الهمَّ ما استطعتَ عن النفسِ
فحملانُك الهمومَ جنونُ
إنّ ربًّا كفاك بالأمس ما كان
سيكفيك في غدٍ ما يكونُ

هُمُ العَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ

إعداد **د. محمد عبد العزيز**
رئيس فرع العاشر

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وخاتم النبيين ورحمة الله للعالمين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد: فإن من أهم مسائل العقائد مسائل الأسماء والأحكام، فإنها مسألة عظيمة في الشريعة وفيها وقع أول اختلاف بين الأمة، وخاضت فيها الفرق الكبرى: كالخوارج، والمرجئة، والجهميَّة، والمعتزلة، والكراميَّة، وغيرها.

والمقصود بالأسماء: الأسماء الدينية مثل: المؤمن، والكافر، والفاسق الملي، والمنافق، فهذه الأسماء لها حقيقة شرعية تؤخذ من الوحيين: الكتاب والسنة، وقد تتطابق هذه الحقيقة مع المعنى اللغوي، أو يحصل لها تغيير وضعيَ في الحقيقة الشرعية.

والمراد بالأحكام: أحكام هؤلاء في الدارين: دار الدنيا، ودار الآخرة.

والذي يهمنا الإشارة إليه من هذه الأسماء، والأحكام في هذا المقال: اسم وحكم المنافق.

والنفاق في اللغة: إخفاء شيء وإغماضه، فأخص ما يميز النفاق في اللغة: الاختلاف بين الظاهر والباطن.

قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة، في مادة: نفق: «النفق: سرب في الأرض له مخلص إلى مكان.

والنافقاء: موضع يرققه اليربوع من جحره فإذا أتي من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق، أي: خرج.

ومنه: اشتقاق النفاق، لأن صاحبه يكتم خلاف ما يظهر، فكأن الإيمان يخرج منه، أو يخرج هو من الإيمان في خفاء».

والنفاق في الاصطلاح: إظهار الإيمان، وإخفاء الكفر.

وهو بهذا المعنى أخص من اسم النفاق في اللغة، قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر في مادة: نفق (٥ / ٩٨): «قد تكرر في الحديث ذكر "النفاق" وما تصرف منه اسمًا وفعلًا، وهو اسم إسلامي، لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه، وإن كان أصله في اللغة معروفًا».

وقد جاء هذا المعنى الشرعي وهو: "إظهار الإيمان، وإخفاء الكفر" واضحًا في كتاب الله فمن ذلك قوله تعالى: «إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ» (المنافقون: ١) فبين الله تعالى أن المنافقين يظهرون الإيمان ويشهدون على ما في قلوبهم من الإيمان الباطن، فكذبهم الله تعالى في دعوى إيمان الباطن.

وقال: «وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ» (البقرة: ٨).

أي: وما هم بمؤمنين في الباطن، وإن أظهروا الإيمان بألسنتهم.

قال ابنُ جرير الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١ /٢٧٥): «أجمع جميع أهل التأويل على أن هذه الآية نَزلت في قوم من أهل النفاق،

وأن هذه الصفة صفتهم».

والمنافقون يحرصون أشد الحرص على كتمان الكفر وإظهار الإيمان تخفيًا وخداعًا للمؤمنين ومكرًا بالإسلام وأهله وخوفًا من نزول العقوبة حتى قال الله لنبيه: «وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ» (المنافقون: ٤).

أي: وإن يقولوا: إنك لرسول الله تسمع لقولهم لأنهم يؤكدون ويحلفون على إيمانهم ظاهرًا وباطنًا.

فليس لهؤلاء في ظاهر الهيئة والشكل ما يميزهم عن الفئة المؤمنة؛ وليس في قولهم ما يدل دلالة ظاهرة بينة واضحة على نفاقهم؛ لأنهم يتظاهرون بالإسلام؛ لكن زلات لسانهم تفضح ما في قلوبهم. قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: «وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ» (محمد: ٣٠).

فهذا اسم المنافق في الشرع، وقد يسميه بعض الفقهاء اصطلاحًا الزنديق. قال ابن تيمية مجموع الفتاوى جمع ابن القاسم - (٧ / ٤٧١): «الزنديق في عرف هؤلاء الفقهاء هو المنافق الذي كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهو: أن يظهر الإسلام ويبطن غيره، سواء أبطن دينًا من الأديان كدين اليهود والنصارى أو غيرهم، أو كان معطلاً جاحدًا للصانع، والمعاد، والأعمال الصالحة».

وقال ابن القيم في طريق الهجرتين وباب السعادتين (٢/ ٨٧٨): «الطبقة الخامسة عشرة: طبقة الزنادقة، وهم قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل، وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسوله، وهؤلاء المنافقون، وهم في الدرك الأسفل من النار».

فالمنافق يشارك الكافر في إبطان الكفر ومعاداة الرسل، ويفارقه في أن الكافر يظهر هذا الباطن ولا يخفيه فيحذره المؤمنون، والمنافق يخفي هذا الباطن، بل ويظهر عكسه، فشره وخطره أعظم على الإسلام وأهله، ولذا حذر الله رسوله منهم فقال له: «هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ» (المنافقون: ٤)، ومثل هذا اللفظ يقتضي الحصر والقصر، أي: لا عدو إلا المنافقون، ولكن لم يرد هاهنا حصر العداوة فيهم وأنهم لا عدو للمسلمين سواهم بل هذا من إثبات الأولوية والأحقية لهم في هذا الوصف فهو حصر وقصر إضافي أو مجازي لبيان خطرهم.

ولذا كانت عاقبة المنافقين في الآخرة أعظم من عاقبة الكفار، قال تعالى: «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا» (النساء: ١٤٥). فإن كان الكفار في قعر الجحيم خالدين في النار أبدًا فإن المنافقين تحتهم في دركات النار.

أنواع النفاق:

النفاق إذا ما أطلق أريد به النفاق الأكبر، وإلا فالنفاق نوعان:

النوع الأول: النفاق الأكبر، أو النفاق الاعتقادي، وهو إظهار الإيمان وإبطان الكفر، وأهله يتصفون بكثير من الصفات غير هذه الصفة، لكن هذه الصفة هي التي تميزهم عن النوع الثاني من أنواع النفاق.

النوع الثاني: النفاق الأصغر، أو النفاق العملي، وأهله يتصفون بصفات المنافقين التي يتميزون بها، غير أنهم مؤمنون ظاهرًا وباطنًا وإن تلبسوا ببعض صفات المنافقين الرديئة، فمن ذلك: حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (١٢٢).

وحديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان» أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (١٢٣).

ولمسلم (١٢٦) زيادة: «آية المنافق ثلاث، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم».

فهؤلاء تلبسوا ببعض صفات المنافقين فاستحقوا اسم النفاق العملي أو الأصغر.

حكم المنافقين في الدارين:

المنافقون النفاق الأكبر: يعاملون في الدار الدنيا معاملة المسلمين فيناكحون ويرثون ويصلى عليهم إن ماتوا، ويدفنون في مقابر المسلمين ... إلا إن أتوا بناقض صريح من نواقض الإيمان فعندئذ يحكم القاضي بردتهم لأجله.

لكن يحذر منهم ومن شرهم ليتقى ويبين كيدهم ليحذر لحديث عائشة، رضي الله عنها أنها قالت: « استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ائذنوا له، بئس أخو العشيرة، أو ابن العشيرة. فلما دخل ألان له الكلام.

قلت: يا رسول الله، قلت الذي قلت، ثم ألنت له الكلام؟

قال: أي عائشة، إن شرَّ الناس من تركه الناس، أو ودعه الناس، اتقاء فحشه » أخرجه البخاري (٦٠٥٤)، ومسلم (٦٦٨٨).

وأما في الآخرة: فإنهم يعاملون معاملة الكفار فيدخلون النار خالدين فيها أبدًا، ولا تنفعهم شفاعة الشافعين، بل هم أسوأ حالاً من الكافرين فهم تحتهم في قعر الجحيم كما سبق، قال الله تعالى: « إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا » (النساء: ١٤٥).

وقال: « وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ » (التوبة: ٦٨).

المنافقون النفاق العملي: يعاملون في الدار الدنيا معاملة المسلمين، لكن يحذر منهم ومن شرهم ليتقى ويبين كيدهم ليحذر.

وأما في الآخرة: فإنهم داخلون تحت الوعيد، فإن شاء الله تعالى عذبهم بذنوبهم في النار ثم يخرجون منها بما معهم من إيمان، وإن شاء عفا عنهم.

صفات المنافقين:

المنافقون من أعظم الناس شرًا، وأشدهم عداوة لأهل الإسلام وإن أظهروا أنهم معهم حتى ذكرهم الله في كتابه في أربعين سورة تقريبًا حتى يعرفوا ويحذر منهم ثم قال الله فيهم لنبيه: « هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ » (المنافقون: ٤).

ولهؤلاء المنافقين صفات وسمات كثيرة تدل عليهم، ذكر الله تعالى كثيرًا منها في كتابه، ومعرفتها مهمة للمؤمن حتى يميز هؤلاء الخبثاء ويحذر منهم، فإن الله تعالى لم يجعل لهم صورة تميزهم عن غيرهم، لكن بيَّن لنا من صفاتهم ما يعرفون بها حتى قال لنبيه: « وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ » (محمد: ٣٠).

ومن صفات المنافقين الواردة في الذكر الحكيم:

١- نشرهم الفساد وادعاء أنه صلاح وإصلاح: قال الله تعالى: « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ » (البقرة: ١١)

وانظر إلى كثير ممن يدعون إلى التفسخ والرذيلة والخنا واستدبار العفة والأخلاق الحميدة فإذا ما واجهتهم بفعلهم هذا وأمرتهم أن يلتزموا أحكام الإسلام ويكونوا مع أهله ولا يكونوا في صف أعدائه تجدهم يدعون هذه الدعوى ويقولون: إنما نحن مصلحون، والله تعالى قد فضحهم بكذبهم هذا فقال فيهم: « أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ⑫ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ » (البقرة: ١٢، ١٣).

٢- الأمر بالمُنكر والنَهي عن المعروف: وهذه السمة صفة كاشفة عنهم، ظاهرة فيهم لا تكاد تفارقهم، قال الله تعالى: « ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ » (التوبة: ٦٧).

٣- إضلال الناس عن الحق وترك الهدى والتشكيك فيه، قال الله تعالى « أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ » (البقرة: ١٦).

وانظر إلى كثير ممن يردون الشرائع، ويشككون في الثوابت، ويلمزون في الدين والنبوة والرسالة والوحي ثم هم يدعون الإسلام، وتلك صفات المنافقين.

فهذه الصفات وغيرها علامات فارقة بين أهل الإسلام والمنافقين، ينبغي ملاحظتها فهي كاشفة لهؤلاء، بل وينبغي للمسلم أن يتجنبها فلا يقع في خلة وصفة من صفات المنافقين. هذا ما يسره الله تعالى في هذا المقال، والله أعلم وأحكم.

المفاوز بين أجيال المساجد وأجيال الهواتف

إعداد **أحمد بن سليمان أيوب**
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فمن يراقب حالة العلم وطلبته في أزماننا يرى بونًا كبيرًا بين طلبة اليوم وطلبة الأمس؛ فطلبة اليوم جلّهم قد اعتمد في دراسته على الهواتف النقالة فصار الهاتف نديمه وجليسه بل وأستاذه ورفيقه في دربه وقرينه، وإن كان للهواتف فوائد فقد اشتملت على كثير من النقائص، فالتعلم من خلال الهاتف بالسماع والقراءة، وإن اشتمل على خير ففيه شر ونقص ومفاسد.

وإن قصُر التعلم على الهاتف وهجر حلقات المساجد قد تضمن عدة مفاسد منها:

اختلاط المفاهيم والمناهج، والبُعد عن أوساط أهل الإيمان والبصائر، وحرمان الأجر بالمشي للمساجد والغدو لها والجلوس في حلقات الذكر وما فيها من الفضائل، وصحبة أقوام ينتقون أطايب الكلم فلا لغو ولا طعن في الأنساب والحكم على الضمائر.

وفي الهواتف الصحيح والفاسد، والحق والباطل، والجميل والقبيح، وقلة التحرير وفقد الضبط والتنقيح، بل كل شيء وضده، وإن تطرق للشبكة المفتوحة واستقى منها المعلومة، وجد الغث والسمين وما يشتت الذهن ويندي الجبين، فالباب قد فُتِحَ والعلم أصبح في أيدي كل مطرح، كلا والله فالعلم عزيز ولا يستحقه إلا من تأهّل له وعلِم قدره ونزَّه نفسه عن المفاسد والشرور، وقد أُثر عن الشافعي رضي الله عنه كما روى الربيع بن سليمان قال: لما دخل الشافعي مصر أول قدومه إليها جفاه الناس فلم يجلس إليه أحد، فقال له بعض من قدم معه: لو قلت شيئًا يجتمع إليك به الناس، فقال إليك عني وأنشد يقول:

أأنثر دُرًّا بين سارحة النعم
أأنظم منثورًا لراعية الغنم
لعمري لئن ضُيعت في شر بلدة
فلستُ مضيعًا بينهم غُرر الكلم
فإن فرج الله اللطيف بلطفه
وصادفت أهلاً للعلوم وللحكم
بثثت مفيدًا واستفدت ودادهم
وإلا فمخزون لديّ ومكتتم
ومن منح الجهال علمًا أضاعه
ومن منع المستوجبين فقد ظلم

فكم من الأوقات ضُيِّعت على الهواتف ومواقع التواصل! وكم من موبقات اقتُرفت بكثرة المخالطة التي تضر ولا تنفع! وكم من بواطيل نشرت على

الصفحات وتراكمت بها السيئات! وكم من الآداب فقدناها لهجر المساجد وتعطل دورها العظيم في بناء الأجيال التي تحمل العلم وتتحمل المخاطر! إن المساجد لم تبن لإقامة الصلاة فحسب، بل كانت متعددة الأنشطة... فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعقد فيه الاجتماعات، ويستقبل فيه الوفود، ويقيم فيه حلق الذكر والعلم والإعلام، ومنطلق الدعوة والبعوث، ويبرم فيه كل أمر ذي بال في السلم والحرب.

وأول عمل ذي بال بدأه النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة مهاجرًا أن شرع في بناء المسجد. وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد، فدخله وصلى فيه ركعات. ومع تدرج الزمن وتغير أساليب الحياة ودخول التكنولوجيا الحديثة والهواتف الذكية فقد انصرف الكثير من أبنائنا عن المساجد وان دخلوها فللصلاة فقط والصلاة عماد الدين ولكن المساجد دورها يمتد إلى أبعد من ذلك بيقين.

ومع ذلك لا يزال المسجد مهيأ للقيام بأدوار عظيمة في التعليم والتربية والوعظ والتوجيه والإرشاد، والتكافل الاجتماعي، والحسبة، وغير ذلك مما كان على عهد النبوة.

فالمسجد ركن ركين للعلم ومعين قوي لا ينضب، ومرتاد لكل رائد للعلم أريب، ومنهل ينهل منه أفراد المجتمع ما يروي نهمهم، ويشبع رغباتهم، ويعطيهم قوة علمية وشحنة إيمانية تدفع عنهم الشكوك والأوهام، وتحميهم من سموم الأعداء ونفثاتهم المحمومة المسعورة التي يحاولون بها الدس والتضليل.

وفي المسجد غذاؤك الروحي وزادك الإيماني، تتروى بين أروقته علمًا زلالا، وتكتسب منه خلقا حميدًا وسمات فريدة، وتجالس فيه أصفياء أوفياء خيرين، وأصدقاء أحماء طاهرين، تستفيد منهم سلوكا حسنًا، ونهجًا مشرفًا.

ولهذا فإن التربية في المساجد تؤدي من المنافع ما لا تفعله الهواتف، وهذه بعض الفروق الظاهرة التي تفرق بين التربية في المساجد والتربية على الهواتف.

إنها مجالس الأنبياء والصديقين

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: «المَسَاجِدُ مَجَالِسُ الأَنبياء وحِرزٌ مِنَ الشَّيطَانِ» الجامع للخطيب (١١٨١). وقال أبو إدريس الخولاني: «المساجد مجالس الكرام» الجامع للخطيب (١١٨٢).

إحياء السنة:

في حضور مجالس العلم إظهار للشعيرة والملة واغاظة لأهل كل نحلة أرضية: قال عكرمة بن عمار: "سمعت كتاب عمر بن عبد العزيز يقول: أما بعد فأمر أهل العلم أن ينشروا العلم في مساجدهم فإن السنة كانت قد أميتت" الجامع للخطيب (١١٨٣).

تحصيل الأدب والخشوع:

مجالس العلم هي مجالس السكينة والأدب والتحصيل الخلق الحسن: فعن حسين المعلم، قال: «كان محمد بن سيرين يتحدث فيضحك، فإذا جاء الحديث خشع» الجامع للخطيب(٩٨٥). وعن الحسن، قال: «كان الرجل يطلب العلم فلا يلبث أن يرى ذلك في تخشعه وهديه ولسانه وبصره ويده» الجامع للخطيب (١٧٥).

وروى الخطيب بسنده قال: سمعت أبا عمرو ابن حمدان، يقول: سمعت أبي يقول: "كنت في مجلس أبي عبد الله المروزي، فحضرت صلاة الظهر، فأذن أبو عبد الله فخرجت من المسجد، فقال: يا أبا جعفر، إلى أين؟ قلت: أتطهر للصلاة، قال: كان ظني بك غير هذا، يدخل عليك وقت الصلاة وأنت على غير طهارة".

وروى بسنده أيضا عن أبي جعفر بن حمدان يقول: كان والدي أبو جعفر يصلي صلاة المغرب مع أبي عثمان يعني سعيد بن إسماعيل، وربما أقام في بعض الليالي حتى يصلي معه صلاة العشاء الآخرة، فإذا أبطأ علينا خرجت إلى مسجد أبي عثمان فخرجت ليلة من الليالي إلى مسجد أبي عثمان، فخرج علينا لصلاة العشاء الآخرة وعليه إزار ورداء، فصلى بنا ثم دخل داره، ورجعت مع أبي إلى البيت، فقلت لأبي: يا أبي، أبو عثمان قد أحرم؟ فقال: لا، ولكنه هو ذا يسمع مني المسند الصحيح الذي خرجته على كتاب مسلم، فإذا سمع بسنة لم يكن استعملها فيما مضى أحب أن يستعملها في يومه وليلته، وإنه سمع في جملة ما قرئ علي أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في إزار ورداء فأحب أن يستعمل تلك السنة قبل أن

يُصبح.

ونقل بسنده عن أبي عبد الله يحيى بن عبد الملك الموصلي، قال: «رأيت مالك بن أنس غير مرة، وكان بأصحابه من الإعظام له والتوقير له، وإذا رفع أحد صوته صاحوا به، وكان إلى الأدمة ما هو».

بيان قدر العلماء

على الهواتف فقد الناس معرفة منازل العلماء وظنوا لأنهم أتيح لهم التعليق والتعقيب على أقوال العلماء أنهم تساووا معهم في الرتبة بل ونازعوهم في المنزلة فلم يقدروا حق الكبير ولا السبق بالعلم والفضل: فعن أبي سعيد الخدري، قال: «كنا جلوسًا في المسجد، إذ خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس إلينا، فكأن على رءوسنا الطير لا يتكلم أحد منا» الجامع للخطيب (٣٢١).

وهي إشارة إلى السكينة والخشوع في مجالس العلم، فعن ابن عباس رضي الله عنه، قال: "مكثت سنتين أريد أن أسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن حديث ما منعني منه إلا هيبته حتى تخلف في حجة أو عمرة في الأراك الذي ببطن مر الظهران لحاجته، فلما جاء وخلوت به قلت: يا أمير المؤمنين، أريد أن أسألك عن حديث منذ سنتين ما منعني إلا هيبة لك قال: فلا تفعل إذا أردت أن تسأل فسلني فإن كان عندي منه أخبرتك وإلا قلت: لا أعلم، فسألت من يعلم، قلت: من المرأتان اللتان ذكرهما الله تعالى أنهما تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: عائشة وحفصة ثم قال: كان لي أخ من الأنصار وكنا نتعاقب النزول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل يومًا وينزل يومًا فما أتى من حديث أو خبر أتاني به وأنا مثل ذلك ونزل ذات يوم وتخلفت؛ فجاءني وساق الحديث بطوله...

قال إسحاق الشهيدي، قال: «كنت أرى يحيى القطان يصلي العصر ثم يستند إلى أصل منارة مسجده فيقف بين يديه علي بن المديني، والشاذكوني، وعمرو بن علي، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين وغيرهم؛ يسألونه عن الحديث، وهم قيام على أرجلهم إلى أن تحين صلاة المغرب، لا يقول لواحد منهم اجلس، ولا يجلسون هيبة وإعظامًا» الجامع للخطيب (٢٩٩).

قال أحمد بن سنان القطان: «كان عبد الرحمن بن مهدي لا يتحدث في مجلسه، ولا يبرى فيه قلم، ولا يبتسم أحد، فإن تحدث أو برى قلمًا، صاح ولبس نعليه ودخل، وكذا يفعل ابن نمير، وكان من أشد الناس في هذا، وكان وكيع أيضًا في مجلسه كأنهم في صلاة، فإن أنكر من أمرهم شيئًا انتعل ودخل، وكان ابن نمير يغضب ويصيح، وكان إذا رأى من يبري قلمًا، تغير وجهه» الجامع للخطيب (٣٢٤).

الأدب في تعلم العلم

مجالس العلم نتعلم فيها الأدب والسمت الحسن فالمخالطة لأهل العلم تورث الخشية والسكينة

قال ابن الجوزي: وقد كان جماعة من السلف يقصدون العبد الصالح للنظر إلى سمته وهديه لا لاقتباس علمه، وذلك أن ثمرة علمه هديه وسمته. فافهم هذا، وامزج طلب الفقه والحديث بمطالعة سير السلف والزهاد في الدنيا، ليكون سببًا لرقة قلبك. صيد الخاطر (٢٢٩).

وروى الخلال في أخلاق الإمام أحمد، عن إبراهيم قال: كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى صلاته وإلى سمته وإلى هيئته ثم يأخذون عنه.

وعن الأعمش قال: كانوا يتعلمون من الفقيه كل شيء حتى لباسه ونعليه.

وقيل لابن المبارك أين تريد؟ قال: إلى البصرة، فقيل له: من بقي؟ فقال: ابن عون آخذ من أخلاقه آخذ من آدابه.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: كنا نأتي الرجل ما نريد علمه ليس إلا أن نتعلم من هديه وسمته ودله، وكان علي بن المديني وغير واحد يحضرون عند يحيى بن سعيد القطان ما يريدون أن يسمعوا شيئًا إلا ينظروا إلى هديه وسمته. الآداب الشرعية (٢/١٤٩).

قال ابن وهب: «ما تعلمت من أدب مالك أفضل من علمه»، وذكر محمد بن الحسن الشيباني، عن أبي حنيفة قال: «الحكايات عن العلماء ومجالستهم أحب إلي من كثير من الفقه؛ لأنها آداب القوم وأخلاقهم» انظر جامع بيان العلم وفضله (٨١٩).

فاللهم ارزقنا الأدب والحكمة والخشية والسكينة.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه.

أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه !!

إعداد أ.عبد العزيز مصطفى الشامي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

فليس من عجب أن يتحبَّب العبدُ إلى ربه وسيده ومولاه، ومَن لا غِنَى له عنه طرفة عين ولا أقل من ذلك، ولا عجب أن يتذلل العبد بين يدي سيده، ويدعو ربه ويرجوه، فكل خير أصابه فهو من الله وحده، وكل شرّ صُرف عنه؛ لم يصرفه عنه إلا هو تبارك وتعالى. ولكنَّ العجبَ كلَّ العجب في توالي نعَم الرحيم الودود على عباده مع تقصيرهم، وكثرة آلائه مع إعراض كثير منهم، وتتابع برِّه بخلقه على ظلمهم، وعظَم تحبُّبه إليهم مع إحاطته بهم، وقدرته عليهم، واطلاعه على نقصهم وزللهم، ولا معنى لذلك إلا سعة رحمته وعظيم لطفه بخلقه، وحلمه عليهم، وصدق الله الرحيم: «وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ » (الرعد: ٦)؛ يقول السعدي: " أي: لا يزال خيره إليهم، واحسانه وبره وعفوه نازلاً إلى العباد، وهم لا يزال شرهم وعصيانهم إليه صاعدًا. يعصونه فيدعوهم إلى بابه، ويجرمون فلا يحرمهم خيره وإحسانه، فإن تابوا إليه فهو حبيبهم لأنه يحب التوابين، ويحب المتطهرين وإن لم يتوبوا فهو طبيبهم، يبتليهم بالمصائب ليطهرهم من المعايب". (تيسير الكريم الرحمن: ص٤١٣)

وإنَّ الذي يتأمل في واقع الناس في الآونة الأخيرة يلْحظ انكبابَ كثير من البشر على مخالفة أوامر الله-تبارك وتعالى-، والإعراض عن شرعه ووحيه، وعدم اتباعهم لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، كلّ هذا وَهُمْ في نعَم سابغة، وصحة وعافية، وستر وأمن، فلا يُعاجلهم ربهم -سبحانه- بالعقوبة إثر ذنوبهم مع قُدرته سبحانه على ذلك، وإنما يُمهلهم لإتمام آجالهم المضروبة، ويَمُدُّ لهم لعلهم يؤوبوا ويرجعوا إلى رُشدهم، فلا يؤاخذهم بذنوبهم فور وقوعهم فيها، وإنما يحلم عليهم ويصبر عن أخذهم وهم في ظلام العصيان، ويؤخرهم لعلهم يرجعون عن غيهم، أو يقيم عليهم حُجَّة الإعراض والجحود، وعندها تنقضي سُنَّة إمهالهم، فما أحلم الله على خلْقه! وما أصبره عليهم!

كثرة منّ الله على خلقه:

والمتدبِّر في آيات القرآن العظيم يُطالع عظيم منّة الله-سبحانه- على خلقه، ورحمته بهم، وإرادته بهم الخير، فيقول-جلّ جلاله- مخاطبًا البشر بعمومهم، متحببًا إليهم، فاتحًا لهم أبواب رجمته، فيقول سبحانه « يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ

عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا » (النساء: ٢٦- ٢٨).

قال السعدي: "وقوله: «والله يُريدُ أنْ يتُوب عَليْكمْ» أي: توبة تَلُمُّ شعثكم، وتجمع متفرقكم، وتقرِّب بعيدكم. «ويُريدُ الذين يتَّبِعُون الشَّهوات» أي: يميلون معها حيث مالت ويقدمونها على ما فيه رضا محبوبهم، ويعبدون أهواءهم، من أصناف الكفرة والعاصين، المقدمين لأهوائهم على طاعة ربهم، فهؤلاء يريدون «أنْ تمِيلوا ميْلاً عظيمًا» أي: أن تنحرفوا عن الصراط المستقيم إلى صراط المغضوب عليهم والضالين؛ يريدون أن يصرفوكم عن طاعة الرحمن إلى طاعة الشيطان، وعن التزام حدود من السعادة كلها في امتثال أوامره، إلى مَنْ الشقاوة كلها في اتباعه. فإذا عرفتم أن الله تعالى يأمركم بما فيه صلاحكم وفلاحكم وسعادتكم، وأن هؤلاء المتبعين لشهواتهم يأمرونكم بما فيه غاية الخسار والشقاء، فاختاروا لأنفسكم أوْلى الداعيين، وتخيَّروا أحسن الطريقتين.

«يُريدُ الله أنْ يُخفِّفَ عَنْكُمْ» أي: بسهولة ما أمركم به وما نهاكم عنه، ثم مع حصول المشقة في بعض الشرائع أباح لكم ما تقتضيه حاجتكم، كالميتة والدم ونحوهما للمضطر، وكتزوج الأمة للحر بتلك الشروط السابقة. وذلك لرحمته التامة وإحسانه الشامل، وعلمه وحكمته بضعف الإنسان من جميع الوجوه، ضعف البنية، وضعف الإرادة، وضعف العزيمة، وضعف الإيمان، وضعف الصبر، فناسب ذلك أن يخفف الله عنه، ما يضعف عنه وما لا يطيقه إيمانه وصبره وقوته". (تفسير السعدي: ص١٧٥)

وآثار رحمة الله -تعالى- تتجلى لعباده، مُعْلنَةً لهم عن عظيم حلم الله-تبارك وتعالى- عليهم، وعدم مسارعته -سبحانه- إلى عقابهم، والصبر عليهم ليتوبوا وليؤوبوا إلى خالقهم وبارئهم، فقال سبحانه: « وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ » (النحل: ٦١).

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: "ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه لو عاجل الخلق بالعقوبة لأهلك جميع من في الأرض، ولكنه حليم لا يعجل بالعقوبة؛ لأن العجلة من شأن من يخاف فوات الفرصة، ورب السماوات والأرض لا يفوته شيء أراده". (أضواء البيان ٢/ ٣٨٩).

وقال جل وعلا: «وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا » (فاطر: ٤٥).

قال ابن كثير: " ثم أخبر تعالى أنه لولا حلمه وعفوه لعاجلهم بالعقوبة كما قال: «ولَوْ يُؤاخذُ الله النَّاس بِما كسبُوا ما ترك على ظهْرها منْ دابَّة»، وقال تعالى في الآية الكريمة: «وإنَّ ربَّك لذو مغْفرة للنَّاس على ظلْمهمْ» أي إنه تعالى ذو عفو وصفح وستر للناس مع أنهم يظلمون ويخطئون بالليل والنهار، ثم قرن هذا الحكم بأنه شديد العقاب ليعتدل الرجاء والخوف". (تفسير ابن كثير ٢/ ٦١٠).

دعوة القرآن الكريم إلى الاستغفار:

ومن الآيات الجامعة التي تفتح باب المغفرة والرحمة أمام المذنبين، قول الله تعالى: «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» (الزمر: ٥٣)؛ ففتح الله أبواب الأمل أمام عباده وأغلق أمامهم أبواب القنوط واليأس، وأخبرهم أنه يغفر الذنوب جميعًا لمن شاء، فمهما عظمت ذنوب العبد، فإن مغفرة الله ورحمته أعظم منها، بل ومن كل شيء، فلا ينبغي أن يقنط أحدٌ من رحمة الله تعالى، ولا ييأس من عفوه ومغفرته أبدًا.

وعَن ابْنِ عبَّاس أنَّ نَاسًا منْ أهْل الشِّرْك قَتلُوا فأكْثرُوا، وزَنوْا فأكْثرُوا، ثُمّ أَتوْا مُحمَّدًا صلى الله عليه وسلم فقَالُوا: إنَّ الَّذى تقُولُ وتدْعُو لحسَنٌ ولَوْ تخْبرُنا أنَّ لما عملْنا كفَّارةً؟ فنزَل: «والَّذينَ لا يدْعُونَ معَ الله إلهًا آخرَ ولا يقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتي حرَّمَ الله إلاَّ بالْحقِّ ولا يزْنُونَ ومنْ يفْعلْ ذلك

يَلْقَ أثامًا »، ونَزَل « يا عبادي الَّذينَ أسْرَفُوا على أنْفُسهمْ لا تَقْنَطوا منْ رَحْمَة الله »" (صحيح مسلم ١٩٣).

وقال الغفور الودود: «لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » (النمل: ٤٦)، وهذه الآية وإن كانت في قوم صالح عليه السلام؛ إلا أن العبرة بعموم اللفظ وليست بخصوص السبب، فهي دعوة إلى استمطار الرحمة واستفتاح أبواب المغفرة بالاستغفار، وطلب العفو والصفح من الجليل سبحانه، وأرشد الله عباده إلى أن هذا الاستغفار هو سبيل الفوز برحمة الله تعالى.

وقد أمر الله الجليل سبحانه عبده ونبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم أن ينَبِّئَ عباده، وينقل لهم رسالة سامية ودعوة لولوج أبواب المغفرة، فقال جل وعلا: «نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ » (الحجر: ٤٩)؛ قال السعدي: " أخبرهم خبرًا جازمًا مؤيدًا بالأدلة، «أنِّي أنا الْغَفُورُ الرَّحيمُ» فإنهم إذا عرفوا كمال رحمته، ومغفرته سعَوا في الأسباب الموصلة لهم إلى رحمته وأقلعوا عن الذنوب وتابوا منها، لينالوا مغفرته" (تفسير السعدي: ص٤٣١).

ومن الآيات الداعية إلى التوبة المحفِّزة إليها، قوله جل وعلا: « فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ⑩ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ⑪ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا » (نوح: ١٠- ١٢)؛ فيا له من كرم وجود! فإنه إذا تاب العبد من ذنبه الذي اجترحته يداه؛ يأتي الاستغفار الصادق ليحول قحط حياته، ودفاف روحه، وبؤسه وشدائده إلى خيرات متتابعة، وظلال وارفة، ونعم متتابعة، فما أرحم الله بعباده عندما وسَّع لهم أبواب رحمته ويسر لهم التوبة وقبلها منهم.

وأخبر سبحانه أنه يغفر لمن تاب إليه وأقلع عن ذنبه، فقال تعالى: « وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » (آل عمران:١٣٥).

وفي نداء بديع يخاطب الله مَن ادَّعوا كذبًا وزورًا أن لله ولدًا، وهو سبحانه منزَّهٌ عن الصاحبة والولد، ومع ذلك دعاهم إلى التوبة والاستغفار، وذكر لهم أنه يغفر لهم إذا تابوا، فقال سبحانه: « أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » (المائدة: ٧٤)؛ قال ابن كثير: "قال ابن عباس-رضي الله عنهما-: «دعا الله إلى مغفرته من زعم أن المسيح هو الله! ومن زعم أن المسيح هو ابن الله! ومن زعم أن عزيرًا ابن الله! ومن زعم أن الله فقير! ومن زعم أن يد الله مغلولة! ومن زعم أن الله ثالث ثلاثة! يقول الله تعالى لهؤلاء: (أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (المائدة: ٧٤). ثم دعا إلى توبته من هو أعظم قولاً من هؤلاء، من قال: «أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ» (النازعات:٢٤)، وقال «مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى » (القصص:٣٨). قال ابن عباس رضي الله عنهما: "من آيس عباد الله من التوبة بعد هذا؛ فقد جحد كتاب الله، ولكن لا يقدر العبد أن يتوب حتى يتوب الله عليه". (تفسير ابن كثير ٤/ ٧٣).

محبة الله للتائبين:

بيَن الله تعالى في القرآن العظيم غناه عن خلقه كلهم، وتنزهه عن محبة الانتقام منهم؛ وأن العبد مهما جنى وأساء وظلم إذا تاب وأصلح: لا يعذبه الله أدنى عذاب؛ إذ لا حاجة له في عذاب البشر، قال جل وعلا: « مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا » (النساء: ١٤٧).

وأكَّد الله في القرآن الكريم أنه يحب التائبين؛ فقال سبحانه: «إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ » (البقرة: ٢٢٢)، وثبت في السنة النبوية أن الله عز وجل يحب التوبة أكثر من حبِّ التائب لها، ويحب المغفرة أكثر من حب الناس أن يُغفر لهم، وإن الله سبحانه -لكرمه ورحمته- يفرح بالتائبين، ويحبهم، وفي صورة رائعة يرسم لنا النبي صلى الله عليه وسلم ذلك المعنى ويصوره في صورة حسية؛ ليبين لنا مدى فرح الله بتوبة عباده وحبّه لأن يغفر لعباده، فقال صلى الله عليه وسلم: «للهُ أشدُّ فَرحا بتوبةِ عبده-حين يَتوبُ إليه- من

أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك، إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: «اللهم أنت عبدي وأنا ربك.أخطأ من شدة الفرح». (صحيح مسلم ٢٧٤٧).

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يكثر من الاستغفار في اليوم أكثر من سبعين مرة، وذلك ليعلم أمته أهمية الإكثار من الاستغفار، فعن الأغر المزني-رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ". (صحيح مسلم ٢٧٠٢).

وختاماً.. فإنّ مع كثرة ذنوب العباد وأخطائهم، فإنّ الله تعالى في القرآن الكريم قد فتح للخلق أبواب المغفرة والرحمة، لمن تاب وآمن وعمل عملاً صالحًا.

وإنّ على العبد المؤمن أن يسارع إلى التوبة بعد الذنب، نادمًا راجيًا رحمة الله تبارك وتعالى، وأن يكرر التوبة إذا عاد إلى الذنب.

وينبغي للعباد ألا يغتروا بسعة رحمة الله تعالى، وعليهم أن يحتاطوا قبل الوقوع في الذنب، ويسارعوا في التخلص من هوى النفس المهلكة، وتتبّع الشهوات المضلة.

وعلى العبد أن يبادر بالتوبة إذا غلبته نفسه على العصيان، أو استجاب في غفلة للشيطان، فمهما بلغ الذنب فإنّ للغفور بابًا للمغفرة لا يُغْلَق حتى تغرغر النفس، أو تطلع الشمس من مغربها.

إذا علم المسلم أن ربه هو الغفور ذو الرحمة، أسرع إلى رضاه، وفرّ إليه من ذنوبه، وعنده يجد الله أرحم به من نفسه، وأحنّ عليه من أمه!

فسارعوا عباد الله بالتوبة ولا تقنطوا من رحمة الله، ولا تيأسوا من مغفرته ورحمته حتى ولو عدتم للذنب، ورجعتم إليه مرات عديدة، طالما أنكم تستغفرون وتتوبون؛ فالعبد الموفّق المسدّد هو الذي إذا أذنب تاب، وإذا أخطأ استغفر، فمهما عاد للذنب أسرع بالتوبة، فهذا يغفر الله له. فاللهم اشملنا بعفوك ومغفرتك.

إنا لله وإنا إليه راجعون

فقدت جمعية أنصار السنة رجلاً من رجالاتها، ألا وهو فضيلة الشيخ عبد الرحمن صابر محمد الشنواني، المولود ١٨-٧-١٩٤١م، في قرية منية سلمنت- الشرقية.

كان يعمل موظفًا بالتأمينات والمعاشات.

وكان رئيسًا لجمعية أنصار السنة المحمدية- فرع المطرية- القاهرة من سبعينات القرن الماضي، وكان مديرًا لإدارة الشئون القانونية وعضو مجلس إدارة المركز العام.

وشهدت جمعية أنصار السنة المحمدية- فرع المطرية- في عهده ازدهارًا دعويًا وخدميًا واجتماعيًا، حيث إنه أول من رعى مشروع المليون محفظ، الذي تبناه فضيلة الشيخ صفوت نور الدين، الرئيس السابق للجمعية، رحمه الله، لجميع فروع الجماعة، حيث قام رحمه الله بإنشاء معهد تحفيظ وقراءات للنساء، إضافة إلى جهوده في خدمة الدعوة والأيتام والفقراء.

جعل الله ذلك في ميزان حسناته، وقد توفي- رحمه الله- يوم ٩ ذي الحجة، ودُفن في بلده قرية سلمنت، وشهد جنازته جمع غفير.

ويتقدم مجلس إدارة المركز العام بخالص العزاء لأسرة الشيخ رحمه الله، ونسأل الله تعالى له المغفرة والرحمة، وأن يحشره في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

قصة الصحابي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مع الأسد

إعداد **علي حشيش**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛

فنواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم؛ حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق.

أولا: أسباب ذكر هذه القصة

١- وجود هذه القصة في بعض كتب السنة الأصلية.

ونذكر القارئ الكريم بأن كُتب السُّنة الأصلية: هي كتب السنة التي صنَّفها مؤلفوها عن طريق تلقيها عن شيوخهم بأسانيد إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- وهذه القصة سنبين من التخريج والتحقيق لها أنها قصة واهية، والصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بريء منها، والسنة الثابتة في غنى عن هذا الكذب، ومن كذبهم قولهم: إن أسدًا قطع على الناس طريقهم، وكما سنبين من المتن أن ابن عمر كان في سفر فمر عليهم فسألهم عن سبب تجمعهم فأخبروه بأن الأسد قطع عليهم الطريق.

٣- وحينئذ نزل ابن عمر عن دابته فمشى إلى الأسد، فأخذ بأذن الأسد ثم نحَّاه عن الطريق، ولم يُسلِّط الله عليه الأسد؛ لأن ابن عمر لم يخف إلا الله.

وهذه القصة اشتهرت وانتشرت على ألسنة الوعاظ والقصاص للارتزاق وتسلية العوام، والقاعدة لكل من يجادل بغير علم: «أثبت العرش ثم انقش».

٤- ومن أراد أن يعرف تقوى ابن عمر وخوفه من الله وصلاحه؛ فهذه شهادة جاءت في أعلى درجات الصحة، كما هو مقرر في علم أصول الحديث حيث جاء في الحديث المتفق عليه، والذي أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» ح(٣٧٤٠) والإمام مسلم في «صحيحه» ح(٣٤٧٨) عن ابن عمر، عن أخته أم المؤمنين حفصة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: «إن عبد الله رجل صالح».

هذه شهادة من الذي أُوتي جوامع الكلم؛ قصيرة في مبناها عظيمة في معناها تزن الدنيا بما فيها، يؤكد فيها النبي صلى الله

عليه وسلم: «إن عبد الله رجل صالح»؛ إنها شهادة تدخل الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في عباد الله الصالحين. وإن كثيرًا من الناس شغلتهم الدنيا عن هذه المكانة. وهذا نبي الله يوسف عليه السلام، والذي مكّنه الله في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء قال: «رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ» (يوسف: ١٠١).

انظر إلى الغاية تمناها نبي الله يوسف عليه السلام بعد كل هذه العطاءات: «توفّني مُسلمًا وألحقني بالصّالحين».

وانظر إلى شهادة النبي صلى الله عليه وسلم لإلحاق عبد الله بن عمر بالصالحين في قوله صلى الله عليه وسلم: «إن عبد الله رجل صالح».

إنها شهادة لا تساوي الدنيا أمامها شيئًا، وهذا نبي الله سليمان عليه السلام الذي نادى: «وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ» (النمل: ١٦)، وتعددت النعم حتى نادى سليمان عليه السلام ربه: «وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ» (النمل: ١٩).

انظر إلى الغاية التي تمناها نبي الله سليمان عليه السلام بعد كل هذه العطاءات: «وأدخلني برحمتك في عبادك الصّالحين».

وانظر إلى شهادة النبي صلى الله عليه وسلم لإدخال عبد الله بن عمر في الصالحين في قوله صلى الله عليه وسلم: «إن عبد الله رجل صالح».

هذا هو الحق في أعلى مراتب الصحة والذي يجعل الصحابي الجليل عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: «مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ» (النساء: ٦٩).

وان تعجب فعجب كيف سولت لهؤلاء أن يذكروا هذه القصة الباطلة والتي سنبين عارها ونكشف عوارها، ويتركوا هذا الحق الذي هو في أعلى مراتب الصحة.

٥- هذا الحق وهذا الصلاح بيّنه وأقره الإمام الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٣٧/١) رقم (١٧) من تراجم الكتاب قال: «عبد الله بن عمر بن الخطاب، الإمام رضي الله عنهما، أبو عبد الرحمن العدوي المدني الفقيه، أحد الأعلام في العلم والعمل، شهد الخندق، وهو من أهل بيعة الرضوان، وممن كان يصلح للخلافة، فعين لذلك يوم الحكمين مع وجود مثل الإمام علي وفاتح العراق سعد ونحوهما رضي الله عنهما، ومناقبه جمة أثنى عليه النبي صلى الله عليه وسلم، ووصفه بالصلاح». اهـ.

قلت: انظر إلى قول الإمام الذهبي: «ومناقبه جمة، وأثنى عليه النبي صلى الله عليه وسلم ووصفه بالصلاح»؛ نعم مناقبه جمة، وأشار إلى أهم منقبة وأعظم صفة فقال: "وأثنى عليه النبي صلى الله عليه وسلم ووصفه بالصلاح»؛ تدبرًا منه لحديث أم المؤمنين حفصة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: «إن عبد الله رجل صالح». اهـ. لذلك حاولت-بفضل الله وحده- أن أبيّن حقيقة هذه الصفة وأنها غاية ومطلب الأنبياء مع ما آتاهم الله من الملك. ثم انظر إلى قول الذهبي عن ابن عمر: «أحد الأئمة الأعلام في العلم والعمل». اهـ.

قلت: يتبين ذلك من قول الإمام السيوطي في «تدريب الراوي» (٢١٦/٢) النوع (٣٩): «وأكثر الصحابة حديثًا: أبو هريرة، ثم ابن عمر، وابن عباس، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وعائشة». اهـ.

قلت: وحتى يستبين مدى علم الصحابي الجليل ابن عمر فإلى القارئ الكريم: «الخريطة الذهنية» لعدد الأحاديث التي رواها كل صحابي من المكثرين. مستنبطة من «تدريب الراوي» (٢١٦/٢، ٢١٧).

عدد الأحاديث التي رواها الصحابي
أبو هريرة: ٥٣٧٤ حديثًا.
عبد الله بن عمر: ٢٦٣٠ حديثًا.
عبد الله بن عباس: ١٦٦٠ حديثًا.
جابر بن عبد الله: ١٥٤٠ حديثًا.
أنس بن مالك: ٢٢٨٦ حديثًا.
أم المؤمنين عائشة: ٢٢١٠ أحاديث.

وحتى لا يتقول علينا من لا دراية له: فالخرائط الذهنية من أحدث الطرق في الكليات الحاصلة على الجودة في الأزهر والتعليم، وهذه الخريطة تلخيص صفحتين كاملتين، وفيها مدى علم ابن عمر بالحديث.

٦- وكما أنه كان أحد الأعلام في العلم والعمل، كان مجاهدًا لا يخاف، دفع بنفسه صغيرًا في أقوى الغزوات، وبرهان ذلك الحديث المتفق عليه وهو في أعلى مراتب الصحة: فقد أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» ح(٢٦٦٤) والإمام مسلم في «صحيحه» ح(١٨٦٨) من حديث ابن عمر قال: «عرضني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد في القتال وأنا ابن أربع عشرة سنة، فلم يجزني، وعرضني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني». اهـ.

هنيئًا لك أجازك سيد ولد آدم أجاز رجلاً بألف يُعدَ، وألف في الغثائية برجل لا تُعدَ، هذا هو الصحيح في أعلى مراتب الصحة، وإلى القارئ الكريم تخريج هذه القصة الواهية وتحقيقها.

ثانيا: متن القصة المفتراة على ابن عمر

روي عن ابن عمر، أنه كان في سفر، فإذا هو بجماعة على الطريق، فقال: ما هذه الجماعة؟ قالوا: الأسد قطع عليهم الطريق، فنزل عن دابته فمشى إليه، فأخذ بأذنه ثم نحّاه عن الطريق، فقال: ما كذب عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يسلطه الله عز وجل على ابن آدم ما خافه، ولو أن ابن آدم لم يخف غير الله لم يسلط الله عليه غيره». اهـ.

ثالثا: التخريج:

الحديث الذي جاءت به القصة: أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» ح(٣٥٣٤- الغرائب الملتقطة)، قال: أخبرنا أبو منصور أحمد بن محمد بن عمر الواعظ، أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن الرازي، أخبرنا السلمي، حدثنا محمد بن يزيد بن محمد العدل، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا إسحاق بن راهويه، أخبرنا بقية، حدثنا بكر بن حذام، حدثنا وهب بن أبان، عن نافع، عن ابن عمر، أنه كان في سفر... الحديث.

رابعًا: التحقيق:

١- علة هذا الحديث: وهب بن أبان. قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٩٤٢١/٣٥٠/٤): «وهب بن أبان عن نافع لا يُدرَى من هو، وأتى بخبر موضوع». اهـ.

٢- أورده الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٢٧٩/٦) (٩٠٥٥/٧٠)، ونقل كلام «ذكره الأزدي فقال: وهب بن أبان: متروك الحديث، غير مرضي، ثم أسند له من طريقه عن ابن عمر رضي الله عنهما رفعه: «لو أن ابن آدم لم يخف إلا الله لم يسلط عليه غيره»... الحديث. وفيه قصة لابن عمر مع الأسد». اهـ.

٣- وعلة أخرى: بقية.

قال الإمام الذهبي في «الميزان» (١٢٥٠/٣٣١/١): بقية بن الوليد بن صائد الحمصي. قال أبو حاتم: لا يُحتج به، وقال أبو مسهر: «أحاديث بقية ليست نقية، فكن منها على تقية». اهـ.

قلت: لأن بقية كان يدلس تدليس تسوية، وهو شر أنواع التدليس.

فلا بد أن يصرح بالتحديث في باقي طبقات السند، فالسند تالف بالسقط في الإسناد، والطعن في الراوي أبان بن وهب.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار
في بيان ضعيف الأحاديث القصار

إعداد **علي حشيش**

«حرس ليلة في سبيل الله، أفضل من صيام رجل وقيامه في أهله ألف سنة: السنة ثلاثمائة وستون يومًا، واليوم كألف سنة».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة» «درر البحار في الأحاديث القصار» (٢/٣٨) مكتبة الحرم النبوي «الحديث» رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧) وقال: «هـ عن أنس».

قلت: «هـ» ترمز لابن ماجه في «السنن».

وهذا تخريج بغير تحقيق؛ فيتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن الحديث صحيح، وهو كما سنبين من التحقيق أنه حديث «موضوع».

فائدة: وحتى يقف القارئ الكريم على معرفة هذا المصطلح لابد من بيان معناه الاصطلاحي.

«الموضوع»: هو الكذب المختلَق المصنوع المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو شر الضعيف وأقبحه، ويحرم روايته في أيِّ معنى كان، سواء الأحكام، والقصص، والترغيب وغيرها، إلا مقرونًا ببيان وضعه. كذا في «تدريب الراوي» (١/٢٧٤) النوع (٢١) للإمام السيوطي.

وسنطبق هذا المصطلح على هذا الحديث من خلال التخريج والتحقيق؛ حتى يجد طالب العلم أيضًا دراسة «لعلم الحديث التطبيقي».

أولاً: التخريج:

الحديث أخرجه الإمام الحافظ ابن ماجه في «السنن» (٢/٩٢٥) ح(٢٧٧٠)، قال: حدثنا عيسى بن يونس الرملي به حدثنا محمد بن شعيب بن شابور، عن سعيد بن خالد بن أبي الطويل قال: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «حرس ليلة...» الحديث.

ثانيًا: التحقيق:

هذا الحديث علته: سعيد بن خالد بن أبي الطويل:

١- قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١٥/٢/١) «سعيد بن خالد بن أبي الطويل روى عن أنس، وروى عنه محمد بن شعيب بن شابور، سألت أبي عنه فقال: لا أعلم روى عنه غير محمد بن شعيب بن شابور، ولا يشبه حديثه حديث أهل الصدق، منكر الحديث، وأحاديثه عن أنس لا تُعرف». اهـ.

٢- قال الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٤/١٨): سعيد بن خالد بن أبي الطويل، قال أبو نعيم: روى عن أنس مناكير، له في ابن ماجه حديث واحد في الرباط، وقال البخاري: فيه نظر، وقال الحاكم أبو عبد الله: روى عن أنس أحاديث موضوعة. اهـ.

قلت: وبما أن هذا الحديث رواه عن أنس كما بينا آنفًا من التخريج إذن الحديث «موضوع».

٣- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٣١٣): «سعيد بن خالد بن أبي الطويل يروي عن أنس ما لم يتابع عليه: لا يحل الاحتجاج به». اهـ.

٤- نقد المتن: قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٣١٥٩/١٣٢/٢): «سعيد بن خالد بن أبي الطويل عن أنس رفعه، ثم ذكر الحديث، ثم قال متعجبًا من هذه المجازفات المليونية التي تدل على الوضع؛ فقال: فهذه عبارة عجيبة لو صحَّت لكان مجموع ذلك الفضل ثلاثمائة ألف ألف سنة وستين ألف ألف سنة». اهـ.

الألفاظ الموهمة في باب الصفات بين الإجمال والاستفصال

الذبّ عن الصحابة وعموم سلف الأمة وأهل السنة.. ودحض شبهات متهميهم بأنهم مُجسّمة

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فمن الأمور البشعة والمستهجنة والغريبة والشائعة لدى المتكلمة: إلصاق تهمة التجسيم بأهل السنة المثبتة لصفات الله تعالى الخبرية والفعلية، وهو اتهام قديم حديث لا يكف المناوئون لأهل السنة عن اتهامهم به: على الرغم من نفي الجميع على السواء لهذه التهمة عن الله وعن صفاته. وهذا أمر يستوجب إيضاح ملابسات هذا المصطلح وشرح ما يُضمره وما يتضمنه من اتهام أهل السنة بالكفر والعياذ بالله

منشأ القول بالتجسيم

ويمكن إرجاع الاتهام بـ(التجسيم) إلى ما أثاره المتكلمة تبعًا لأهل الاعتزال من أسئلة أهمها: هل ذاته تعالى هي عين صفاته، أم أن الصفات معانٍ مغايرة لها؟، وما هي علاقة صفاته تعالى بمسميات ذاته؟ والجواب باختصار يكمن في:

أولاً: الإقرار باستحالة أن تكون هناك (ذاتٌ) مجردةٌ قائمةٌ بنفسها، منفصلة عن الصفات الزائدة عليها، ومعرفة أن غياب هذه البديهة كان منزلقًا خطيرًا لدى فرق المعتزلة وأهل الكلام، زلت بسببه أقدامهم وضلت بسببه طوائفهم، وزاد من زللهم وضلالهم استخدامهم كلمتي: أنها (عين الذات) بحق صفة الوجود، وأنها (زائدة على الذات) بحق صفات المعاني القائمة بذاته تعالى وهي: القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام.

والحق أن الكلمتين ملبستان ومحدَثتان ومجمَلتان، لأنا إذا قلنا: (الصفات عينُ الذات) كنّا بذلك ألغينا الصفات بما فيها صفة (الوجود)، لاستلزام القول بأنها عينها: ألا توجد صفات، وهذا تعطيل وتكذيب للنصوص المثبتة للصفات!، وإذا قلنا: إنها (زائدة على الذات)، فقد يُفهم أنها غيره، فيُصار إلى أن الصفات شيء والذات شيء آخر، وفي ذلك إيهامٌ بتعدد الأغيار أو الذوات أو الآلهة أو القدماء، وهذا كفر.

ومن هنا كان جواب أهل السنة: أنه (لا يقال عن صفات الله إنها هي ذاته ولا هي غيره)، فكانوا لا يطلقون على صفات الله أنها غيره، ولا أنها عينه أو ليست غيره، ذلك أن لفظ (غَير) فيه إجمال، فلا يُطلق إلا مع البيان والتفصيل والتفسير.

لأنك إذا أطلقت مغايرة ذاته لصفاته، أو الإثبات بأنها غيره، أشعرتَ أنها مُباينةٌ له وأن ثمة ذاتًا مجردة قائمة بنفسها منفصلة

عن الصفات الزائدة عليها، أو أنها شيء والذات شيء آخر. وهذا مُفض إلى إيهام التباين وتعدد آلهة ذوي صفات مختلفة.. وإذا أطلقت العكس، فنفيت هذه المغايرة على الإطلاق، بمعنى: أطلقت النفي بأنها ليست غيره ولا هي زائدة عن ذاته، كنت قد أشعرتَ أنها هي هو، وأن صفاته عينُ ذاته، وأن ليس لذاته صفات، وفي ذلك إنكارٌ لصفات الله بالكلية.

والقول بالتعددية والإنكار قولٌ كُفرٌ والعياذ بالله، ما أراده الله تعالى؛ لكون "الصفة -على حد قول شارح الطحاوية ص٥٩- ليست عين ذات الموصوف التي يفرضها الذهن مجردة، بل هي غيرها.. وليست غير الموصوف، بل الموصوف بصفاته شيء واحد غير متعدد". فاسم الرب إذا أطلق يتناول الذات المقدسة بما تستحقه من صفات الكمال، إذ يمتنع وجود ذات عريّة عن الصفات، فضلاً عن أن القول أو الحكم بأن صفاته تعالى عين ذاته أو غيرها، دخول في الكيفية يستلزم أن يكون العقل قد عرف ذاته وأدرك كنهها أولاً، وهذا ما لا طاقة للعقل به.

ثانيًا: أنه لا حجة لمن أنكر أو عطّل أسماءه تعالى بنفس الزعم، أو بزعم ألا تكون شريكة له في أوليته، أو بزعم تنزيهه تعالى عن التجسيم والتشبيه، أو بادعاء أن الاشتراك في الاسم يوجب الاشتباه في معناه، ذلك أن ما قيل في صفاته يقال في أسمائه، إذ الاسم في الأصل: صفة قائمة بالمسمى، فلا يقال: (إن أسماءه تعالى عين ذاته) لئلا يُفضي ذلك إلى إلغائها وإنكارها وتعطيلها، ولا يقال: (إنها غيره) لئلا يُتوهم من ذلك ما ذكرنا من الانفصال والمباينة، أو يوهم تعدد القدماء وعدم اتصاف ذاته تعالى بالوحدانية من كل وجه.

ومن هنا ساغ لأهل السنة أن يردُّوا كلام منكري أسمائه سبحانه، بأن: لازم كلامهم أن يكون الله ناقصًا في فترة، ثم حدثت له الصفات وكمُل بها، كما ردوه بأن "ليس بعد خلق الخلق استفاد سبحانه اسم (الخالق)، ولا بإحداث البرية استفاد اسم (الباري)، وكما أنه (محيي الموتى)، بعدما أحيا استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحق اسم (الخالق) قبل إنشائهم". وبأن أسماءه تعالى كصفاته ليست شيئًا غير المسمى أو الموصوف بها في الخارج، وإنما هي معانٍ قائمة به دالة على كماله، وأن الصواب فهمها والحرص على معرفة مدلولاتها، وأنه لا يلزم من تعدد الصفات أو الأسماء تعدد الموصوف أو المسمى.

قال الإمام الطحاوي في مجمل اعتقاده: "لا زال بصفاته قديمًا قبل خلقه"، ولم يقل (لا زال وصفاته) لأن العطف يؤذن بالمغايرة، وكذلك قال الإمام أحمد في مناظرته الجهمية: لا نقول: (الله وعلمه، الله وقدرته، الله ونوره)، ولكن نقول: (الله بعلمه وبقدرته وبنوره هو إله واحد)، وتقول: (أعوذ بالله)، تريد: عُذْتُ بالذات المقدسة الموصوفة بصفات الكمال المقدسة الثابتة التي لا تقبل الانفصال بوجه من الوجوه، وفي حديث مسلم: (أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر)، وفيه: (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق).. إلخ، تريد: بصفة من صفاته تعالى، وليس بغيره.. كذا أفاده شارح الطحاوية ص٥٩.

بل إن دلالة أسمائه تعالى على ذاته وصفاته دلالة مطابقة وتضمن والتزام، فتدل بالمطابقة على الذات بالعلمية وعلى الصفة بالوصفية، لتطابُق ألفاظها مع تمام معانيها، وتدل عليهما بالتضمُّن والالتزام، ذلك أنه ما من اسم من أسمائه تعالى إلا ويتضمن الصفة التي اشتق منها حتى اسم (الله) فإنه يتضمن صفة ومعنى الألوهية؛ لأنها إذا لم تتضمن معنى، صارت أسماء جامدة لا معنى لها، وإذا كانت كذلك لم تكن حسنى، أي: بالغةً في الحسن كماله؛ إذ من أين يأتيها الحسن ووصف الله تعالى لها بأنها كذلك، وهي جامدة وخالية من المعاني؟!

قواعد أهل السنة العاصمة من زلل أهل الزيغ والضلال:

والقاعدة المُثلى في ذلك أن يقال: إن أسماء الله أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار دلالتها على المعاني، وهي مترادفة باعتبار الدلالة الأولى؛ ومتباينة باعتبار الدلالة الثانية.

ويفاد مما سبق أن لا يجوز بحجة نفي الجسمية عن الله وصفاته: نفي أيٍّ من أسمائه تعالى أو صفاته الخبرية أو الفعلية، أو القول بأن ثمة صفات له تعالى توهم الجسمية ومن ثم كانت

مستحيلة بحقه تعالى على ما أفاده السنوسي ت٨٩٥ في (أم البراهين) ص١٢٠ وما بعدها؛ حيث ذكر أن مما يستحيل بحقه تعالى لتنزيهه عن مماثلة الحوادث في الذات أن "يتقيد بمكان بأن يكون فوق العرش أو في السماء". فنفى وعطل بهذا التنزيه المزعوم والتقييد أو التكييف المشئوم: عشرات النصوص الناطقة في الكتاب والسنة بعلوه سبحانه، ولم يكتف بهذا حتى اتهم بالكفر من أخذ بظواهر النصوص وذلك قوله في شرح الكبرى ص٨٢، ٨٣ في سابقة خطيرة بالقول بتعارض النقل للعقل:

"وأما من زعم أن الطريق إلى معرفة الحق: الكتاب والسنة، ويحرّم ما سواهما، فالرد عليه: إن حجتهما لا تُعرف إلا بالنظر العقلي، وأيضًا: فقد وقعَتْ فيهما - يعني: الكتاب والسنة - ظواهر من اعتقدها على ظاهرها: كفَر عند جماعة أو ابتدع"، وقال فيه أيضًا: "أصول الكفر ستة - وذكر في السادس منها: - التمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة".. قال: "والتمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير بصيرة في العقل: هو أصل ضلال الحشوية، فقالوا بالتشبيه والتجسيم والجهة، عملاً بظاهر قوله تعالى: «الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ» (طه: ٥)، «ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ» (الملك: ١٦)، «خَلَقْتُ بِيَدَيَّ» (ص: ٧٥)، ونحو ذلك".

وتلك - وأيم الله - فجيعة الدهر، وجريرة لا يمكن السكوت عنها، كونه قد جعل- وجميع من كان على شاكلته - النبي وصحابته وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين: حشوية، وجعل ما هم عليه: ضلالة وتشبيهًا وتجسيمًا.. ولطالما نادى أصحاب كتب الاعتقاد بردّ هذا وبالتمسك بظواهر نصوص الكتاب والسنة في باب الصفات وغيرها وحذروا من مخالفتها، وذلك استنادًا إلى نصوص الوحي الصريحة في ذلك، وأذكر ممن رد عادية السنوسي ومن لف لفه: قول الجويني في رسالته عن الاستواء:

"إن قالوا لنا في (الاستواء): شبّهتم، نقول لهم في (السمع): شبهتم، ووصفتم ربكم بالعرَض!.. وإن قالوا: لا عرَض بل كما يليق به، قلنا في (الاستواء والفوقية): لا حصر، بل كما يليق به، فجميع ما يُلزموننا به في (الاستواء والنزول واليد والوجه والقدم والضحك والتعجب) من التشبيه.. نُلزمهم به في (الحياة والسمع والبصر والعلم)، فكما لا يجعلونها أعراضًا، كذلك نحن لا نجعلها جوارح ولا مما يوصف به المخلوق، وليس من الإنصاف أن يفهموا في (الاستواء والنزول والوجه واليد) صفات المخلوقين، فيحتاجون إلى التأويل والتحريف.. فإن فهموا في هذه الصفات ذلك، فيلزمهم أن يفهموا في الصفات السبع أيضًا صفات المخلوقين من الأعراض!!.. فما يُلزموننا به في تلك الصفات من التشبيه والجسمية، نُلزمهم في هذه الصفات في العَرَضية، وما ينزهون ربهم به في الصفات السبع وينفونه عنه من عوارض الجسم فيها، فكذلك نحن نعمل في تلك الصفات التي ينسبوننا فيها إلى التشبيه سواء بسواء" ا.هـ باختصار.

وفي تعضيد ذلك يقول الأشعري في رسالة لأهل الثغر: "وأجمعوا - أي: سلف الأمة الماضون من الصحابة ومن تبعهم بإحسان - على أن صفته عز وجل لا تشبه صفات المُحدَثين، كما أن نَفْسَه لا تشبه أنفس المخلوقين.. وعلى وصف الله بجميع ما وصف به نفسه ووصفه به نبيه من غير اعتراض فيه ولا تكيف له، وأن الإيمان بذلك واجب وترك التكييف له لازم".

وإذا ما أضفنا إلى القاعدة السالفة الذكر: أن (جميع صفاته تعالى صفات كمال ولا تشبه صفات المخلوقين) وأنه (الفعّال لما يريد)، وأن (صفاته تعالى إنما هي من جنس ذاته ومتفرعة عنها)، فكما أنه تعالى: «ليس كمثله شيء» في ذاته؛ فكذلك صفاته ليس كمثلها صفات، وأن (ما يقال عن الذات يقال عن الصفات) و(ما يقال في بعض الصفات يقال في بعضها الآخر)، تأكد لنا ما أقرّه أهل السنة وسلف الأمة من أنه لا يجوز بحجة تنزيهه سبحانه عن الجسمية نفي أو تعطيل أيٍّ من صفاته.

الأشعري من خلال كتابه: (مقالات الإسلاميين) يُجمل معتقد أهل السنة ويكشف عن الفرق بين (الإثبات) و(التجسيم):

ومن المعلوم بالضرورة أن الإمام أبا الحسن الأشعري في آخر مراحله كان يقول بما قال به أهل السنة؛ خلافًا للأشعرية، وكان مما قالوه وذهبوا إليه، وكانوا فيه قدوة للأشعري؛ ما ساقه أبو الحسن الأشعري في (مقالات الإسلاميين) ص٢١١، ٢١٧ عن أصحاب الحديث الذين رأيه من رأيهم، من قولهم: «ليس سبحانه بجسم ولا يشبه الأشياء». وقولهم: «لسنا نقول في ذلك - يعني في اليدين والقدمين والوجه والعينين - إلا ما قاله الله أو جاءت به الرواية عن رسول الله، فنقول: (وجه بلا كيف، ويدان وعينان بلا كيف)".

وكان الأشعري قد ذكر في (المقالات): مقولات فرق الخوارج والروافض والجهمية ومن تأثر بهم من الكلابية ومتأخري الأشعرية، ثم أعقب ذلك وتحديدًا في ص٢٩٠ وما بعدها بذكر ما عليه أهل السنة فذكر- تحت عنوان: (جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة) وقد نقله عنه الذهبي في (العلو) ص١٥٩ وغيره - أن: «جملة ما عليه أهل الحديث والسنة، الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء عن الله وما رواه الثقات عن رسول الله، لا يردَون من ذلك شيئًا.. وأن الله على عرشه كما قال: «ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ» (طه:٥)، وأن له يدين بلا كيف كما قال: «خَلَقْتُ بِيَدَيَّ» (ص:٧٥)، وكما قال: «بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ» (المائدة:٦٤)، وأن له عينين بلا كيف كما قال: «تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا» (القمر:١٤)، وأن له وجهًا كما قال: «وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ» (الرحمن: ٢٧).

ويصدَقون - يعني: أهل السنة - بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله: (إن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مستغفر) كما جاء الحديث. ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال تعالى: «فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ» (النساء:٥٩). ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين، وأن لا يبتدعوا في دينهم ما لم يأذن به الله.. ويقرون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال: «وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا» (الفجر٢٢)، وأن الله يقرْب من خلقه كيف شاء كما قال: «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ» (ق: ١٦).

إلى أن قال: «فهذا جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول، واليه نذهب»، كذا دون ما تفريط ولا إفراط، ولا تفويض ولا تأويل، ولا توسع في صفات السلب المفضية إلى الخوض في الكيف ووصف المعدوم، خلافًا للمعتزلة والجهمية الذين سبق أن حكا مقولتهم في ذلك بنفس المصدر، وقد تأثر بهم الأشعرية تاركين مذهب إمامهم.

الأشعري مع إثباته الصفات.. يكشف زيغ فرق المجسمة ومدعيها على أهل السنة، ويدحض حججهم:

وطالما نحن بصدد الحديث عما سطره الأشعري في (المقالات)، فلا ينبغي أن يفوتنا أن نشير إلى ما ذكره فيها بحق التجسيم والمجسمين، لنثبت لكل مخالف لمعتقد الأشعري ومعتقد أهل السنة -وبخاصة الأشعرية-: أن (الإثبات) لا يعني (التجسيم) بحال، وأن إثبات الصفات على الوجه الذي يليق بجلاله شيء، والتجسيم شيء آخر.. وأيضًا حتى نبرئ ساحة الصحابة وأئمة السلف وكل من تبعهم بإحسان، من (تهمة التجسيم) التي يحلو لكثيرين ممن لم يفهموا حقيقة الأمر أن يلصقوها بهم.

إذ ليس ثمة أوثق ولا أولى في حكاية وكشف ما كانوا عليه، من أبي الحسن الأشعري إمام المذهب وما ذكره عنهم في (المقالات)، فعن شبهة (التجسيم) كما تصورها متكلمة الأشاعرة، وعن منشأ الخطأ في تصورهم عن المجسمة، يقول الأشعري في (مقالات الإسلاميين) ص٢٠٧:

"قد أخبرنا عن المنكرين للتجسيم أنهم يقولون: إن الباري ليس بجسم ولا محدود ولا ذي نهاية» يعني: إلى غير ذلك من صفات السلوب ونعوت المعدوم التي اخترعها المعتزلة ومن كان على شاكلتهم من المتكلمة، واستعاضوا بها عن طريقة أهل السنة التي تقضي بالنفي المجمل والإثبات المفصل.

وللحديث صلة بإذن الله.

والحمد لله رب العالمين.

من روائع الماضي

الهَجرُ والهجرةُ والمهاجِرُ !!

إعداد الشيخ/ صفوت الشوادفي
رحمه الله

الحمد لله.. والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد:

فإن الهجرة شرف عظيم، ومنزلة رفيعة نالها المهاجرون !

ومع بداية عام هجري جديد يتجدد الحديث عن الهجرة.

ونتناول في هذا البحث الموجز- بإذن الله- ثلاث كلمات يدور الحديث حولها؛ وهي الهجر، والهجرة، والمهاجر، فنقول مستعينين بالله:

الهجْر والهجران: مفارقة الإنسان غيره؛ إمّا بالبدن أو باللسان أو بالقلب، قال تعالى: «وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ» (النساء: ٣٤)، فهذا هجر بالبدن، بمعنى عدم القرب في الفراش.

وقال تعالى: «وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا» (الفرقان: ٣٠)، فهذا هجر بالقلب، أو بالقلب واللسان.

وقال تعالى: «وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا» (المزمل: ١٠)، وهذا يحتمل هجر القلب أو اللسان أو البدن أو الثلاثة معًا، ومثله قوله تعالى: «وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا» (مريم: ٤٦)، وأما قوله تعالى: «وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ» (المدثر: ٥)، فهذا أمر بالمفارقة والمتاركة بالوجوه كلها مع السخط والنفور.

وأما الهجرة التي تحدث عنها القرآن الكريم وسمى أهلها مهاجرين فمعناها: الخروج من دار الكفر إلى دار الإيمان.

أو: انتقال المؤمن بدينه من بلد الفتنة والخوف إلى بلد يأمن فيه على نفسه ودينه، كما حدث في الهجرة إلى الحبشة، وكذلك الهجرة من مكة إلى المدينة.

وقد تحدث العلماء- قديمًا- عن الهجرة وما يتعلق بها، وكذلك عن الهجر والمهاجر، ونسوق- هنا- للقارئ الكريم جملة من لطائف المعارف، وفرائد الفوائد، ورءوس المسائل التي تمس الحاجة إلى معرفتها، بغير تطويل ممل، ولا اختصار مخلّ !

- المسألة الأولى: قال ابن القيم- رحمه الله-: (وله- أي للمؤمن- في كل وقت هجرتان: هجرة إلى الله بالطلب والمحبة والعبودية والتوكل، والإنابة والتسليم والتفويض والخوف والرجاء، والإقبال عليه، وصدق اللجوء والافتقار في كل نفَس إليه... وهجرة إلى رسوله صلى الله عليه وسلم في حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة؛ بحيث تكون موافقة لشرعه الذي هو تفضيل محاب الله ومرضاته، ولا يقبل الله من أحد دينًا سواه، وكل عمل سواه فعيش النفس وحظها (زاد المعاد).

- الثانية: ذكر العلاّمة أبو بكر ابن العربي المالكي- رحمه الله- أنواع السفر التي يسافرها البشر، فنقل عن العلماء تقسيمًا بديعًا عجيبًا غريبًا ! فقال- رحمه الله-: قسّم العلماء رضي الله عنهم الذهاب في الأرض قسمين: هربًا وطلبًا !!

فالأول- أي الهرب- ينقسم إلى ستة أقسام:

١- الهجرة: وهي الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام؛ وكانت فرضًا في أيام النبي صلى الله عليه وسلم؛ وهذه الهجرة باقية مفروضة إلى يوم القيامة، وأما التي انقطعت بالفتح فهي القصد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فإن بقي في دار الحرب عصى؛ ويختلف في حاله- أي حكمه.

٢- الخروج من أرض البدعة: قال ابن القاسم: سمعت مالكا يقول: (لا يحل لأحد أن يقيم بأرض يُسب فيها السلف). قال ابن العربي: وهذا صحيح؛ فإن المنكر إذا لم تقدر أن تغيره فزُل عنه ! قال الله تعالى: « وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ » (الأنعام: ٦٨).

٣- الخروج من أرض غلب عليها الحرام: فإن طلب الحلال فرض على كل مسلم.

٤- الفرار من الأذية في البدن؛ وذلك فضل من الله أرخص فيه؛ فإذا خشي على نفسه فقد أذن الله له في الخروج عنه، والفرار بنفسه ليخلصها من ذلك المحذور، وأول من فعله إبراهيم عليه السلام؛ فإنه لما خاف من قومه قال: «إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ» (العنكبوت: ٢٦)، وقال: «إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ» (الصافات: ٩٩)، وقال الله مخبرًا عن موسى عليه السلام: «فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ» (القصص: ٢١).

٥- خوف المرض في البلاد الوخمة، والخروج منها إلى الأرض النزهة !

وقد أذن صلى الله عليه وسلم للرعاة حين استوخموا المدينة أن يخرجوا إلى المسرح (المكان الذي ترعى فيه الأنعام) فيكونوا فيه حتى يصحوا.

وقد استثنى من ذلك الخروج من الطاعون؛ فمنع الله منه بالحديث الصحيح عن نبيه صلى الله عليه وسلم.

٦- الفرار خوف الأذية في المال؛ فإن حرمة مال المسلم كحرمة دمه، والأهل مثله وأوكد...

وأما قسم الطلب- أي القسم الثاني- فينقسم قسمين: طلب دين، وطلب دنيا، فأما طلب الدين فيتعدد بتعدد أنواعه إلى تسعة أقسام:

١- سفر العبرة: قال الله تعالى: « أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ » (الروم: ٩) وهو كثير. ويقال: إن ذا القرنين إنما طاف الأرض ليرى عجائبها، وقيل: لينفذ الحق فيها.

٢- السفر للحج، والأول وإن كان ندبًا- أي مستحب- فهذا فرض.

٣- سفر الجهاد، وله أحكامه.

٤- سفر المعاش؛ فقد يتعذر على الرجل معاشه مع الإقامة فيخرج في طلبه ليزيد عليه من صيد أو احتطاب أو احتشاش فهو فرض عليه .

٥- سفر التجارة والكسب الزائد على القوت، وذلك جائز بفضل الله سبحانه وتعالى: قال الله تعالى: « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ » (البقرة: ١٩٨) يعني التجارة، وهي نعمة منّ الله بها في سفر الحج؛ فكيف إذا انفردت !

٦- السفر في طلب العلم؛ وهو مشهور. (يعني في زمانه، وليس زماننا).

٧- قصد البقاع؛ قال صلى الله عليه وسلم: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد».

٨- السفر للثغور للرباط بها وتكثير سوادها للذب عنها.

٩- زيارة الإخوان في الله تعالى: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «زار رجلٌ أخًا له في قرية، فأرصد الله له ملكًا على مدرجته(أي: في طريقه)، فقال: أين تريد ؟ فقال: أريد أخًا لي في هذه القرية، قال: هل لك من نِعمة تربُها عليه ؟ قال: لا؛ غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه». رواه مسلم وغيره.

- الثالثة: قال الخطابي- رحمه الله-: (كانت الهجرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم في أول الإسلام مطلوبة، ثم افترضت- أي صارت فرضًا- لما هاجر إلى المدينة، للقتال معه صلى الله عليه وسلم، وتعلم شرائع الدين، وقد أكد الله ذلك في عدة آيات حتى قطع الموالاة بين من هاجر ومن لم يهاجر، فقال تعالى: « وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا

لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا» (الأنفال: ٧٢)، فلما فتحت مكة، ودخل الناس في الإسلام من جميع القبائل سقطت الهجرة الواجبة وبقي الاستحباب). اهـ.

قال البغوي في «شرح السنة» وهو يجمع بين انقطاع الهجرة واستمرارها، قال: لا هجرة بعد الفتح؛ أي من مكة إلى المدينة، ولا تنقطع الهجرة من دار الكفر في حق من أسلم إلى دار الإسلام.

وقال الماوردي: (إذا قدر على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفر فقد صارت البلد به دار إسلام؛ فالإقامة فيها أفضل من الرحلة منها لما يترجى من دخول غيره في الإسلام).

- الرابعة: قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله- في بيان معنى (لا هجرة بعد الفتح) من صحيح البخاري: (لا تجب الهجرة من بلد قد فتحه المسلمون، أما قبل فتح البلد فمن به من المسلمين أحد ثلاثة:

الأول: قادر على الهجرة منها لا يمكنه إظهار دينه، ولا أداء واجباته فالهجرة منه واجبة.

الثاني: قادر لكنه يمكنه إظهار دينه وأداء واجباته فمستحبة لتكثير المسلمين بها- أي البلد الذي سيهاجر إليه- ومعونتهم، وجهاد الكفار والأمن من غدرهم، والراحة من رؤية المنكر بينهم.

الثالث: عاجز بعذر من أسر أو مرض أو غيره فتجوز له الإقامة، فإن حمل على نفسه، وتكلف الخروج منها أجر). اهـ. من فتح الباري (ج ٦).

- الخامسة: قال ابن مفلح- رحمه الله- في بيان حكم هجر أهل المعاصي: يُسنُّ هجر من جهر بالمعاصي الفعلية والقولية والاعتقادية، وقيل: يجب إن ارتدع به، وإلا كان مستحبًا، وقيل: يجب هجره مطلقًا إلا من السلام بعد ثلاثة أيام. وقيل: ترك السلام على من جهر بالمعاصي حتى يتوب منها فرض كفاية، ويكره لبقية الناس تركه. ونقل عن الشيخ موفق الدين- رحمه الله- قوله: (كان السلف ينهون عن مجالسة أهل البدع، والنظر في كتبهم، والاستماع لكلامهم). قلت- القائل الكاتب-: وهذا يعني أنهم علماء سوء ودعاة بدعة وضلالة.

أما غير المجاهر بالمعاصي، وهو من يفعل المعصية سرًا فقد سئل الإمام أحمد: إذا علم من الرجل الفجور أنخبر به الناس ؟ قال: لا، بل يستر عليه إلا أن يكون داعية. وقال القاضي: فإن كان يستتر بالمعاصي فظاهر كلام أحمد أنه لا يهجر.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: (المستتر بالمنكر ينكر عليه ويستر عليه، والمظهر للمنكر يجب الإنكار عليه علانية، ولا يبقى له غيبة). وذكر المهدوي في «تفسيره»: إنه لا ينبغي لأحد أن يتجسس على أحد من المسلمين، فإن اطلع منه على ريبة وجب أن يسترها ويعظه مع ذلك ويخوفه بالله تعالى).

أما هجر المسلم العدل في اعتقاده وأفعاله فقد ذكر العلماء أنه من كبائر الذنوب؛ لحديث: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث...» الحديث، ومعلوم أن السنة الصحيحة قد نهت عن المعاداة والمقاطعة، وأوجبت على المسلم أن يكون حبه في الله، وبغضه في الله. وقال النووي في «شرح مسلم»: قال العلماء رضي الله عنهم: إنما عفي عنها في الثلاثة؛ لأن الآدمي مجبول على الغضب وسوء الخلق، ونحو ذلك فعفي عنها في الثلاث ليزول ذلك العارض.

والهجر المحرم يزول بالسلام، ولا ينبغي له أن يترك كلامه بعد السلام عليه، وظاهر كلام الإمام أحمد- كما نقله العلماء- أنه لا يخرج من الهجر بمجرد السلام، بل يعود إلى حاله مع المهجور قبل الهجر...

-فإلى الهجرة أيها المسلمون...

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

الهجرة النبوية تزرع الأمل في القلوب

إعداد **الشيخ صلاح عبد الخالق**

الحمد لله على نعمة الإسلام، والصلاة والسلام على سيد الأنام.

وبعد: فإنَّ الإسلامَ يحثُّ أفرادَهُ على الأملِ بمستقبلٍ مشرقٍ؛ فالأملُ أساسُ الحياة، وكلُّ إنسانٍ لهُ أملٌ في الحياة. والأمل للأمة كالروح للجسد؛ فلولا الأمل ما بنى بانٍ، ولا غرس غارس، ولولا الأمل لما تحققت أي إنجازات ولا أهداف.

أولاً: مفهوم الأمل:

(١) تعريف الأمل: أَمَل (مفرد): ج آمال: توقُّع ورجاء، عكسه يأس. والأمل: رجاءٌ قويّ، تفاؤل شديد. (معجم اللغة العربية المعاصرة: ١/ ١٢٠).

(٢) الأَمَلُ: رَجاءُ مَا تُحِبُّهُ النَّفْسُ مِنْ طُولِ عُمُرٍ وَزِيَادَةِ غِنًى (فتح الباري ١١/ ٢٣٦).

(٣) الأَمَلُ: مَطْبُوعٌ في جميعِ بَنِي آدَمَ:

(أ) عن أبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "لَا يَزَالُ قَلْبُ الكَبِيرِ شَابًّا في اثْنَتَيْنِ: في حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الأَمَلِ" (صحيح البخاري ٦٤٢٠).

(ب) الأمل: تلك الكلمة التي تتوقف عليها كلَ حركة في الإنسان؛ لأنَ الأمل يمثل استشراف الإنسان للمستقبل في قضاياه كلّها، في عمره أو حاجاته أو حركته أو أهدافه أو تطلعاته كلّها؛ لأنَ الإنسان لو تجمَّد في دائرة اللحظة التي يعيش فيها والظروف التي تحيط به، لانقضى عمره في لحظته؛ الأمل هو العنصر الذي أودعه الله في الإنسان ونبَّه فطرته التي جُبل عليها بذلك، ليعيش عمره في هذه الحياة متفائلاً. بل وليعيش حركية التغير والتبدّل في الظروف المحيطة به والتي تحتويه، عندما تكون هناك ظروفٌ قاسيةٌ تحيط به، فيأمل أن تتبدّل، وهذا مما ينطلق به الإنسان في عمق الأمل وامتداده على مدى مسيرة حياته.

(٤) في الأَمَلِ سرٌّ لَطيفٌ؛ لأَنَّهُ لَوْلَا الأَمَلُ مَا تَهَنَّى أَحَدٌ بِعَيْشٍ وَلَا طَابَتْ نَفْسُهُ أَنْ يَشْرَعَ في

عملٍ من أعمال الدُّنيا. (فتح الباري ١١/٢٣٧).

ثانيا: الأمل نوعان:

(١) الأمل المحمود: (أ) قال تعالى: «ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا» (الكهف: ٤٦)، «والباقيات الصالحات»: كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى للآخرة. (تفسير ابن كثير ٢/١٧٨). إذا كان أمل الناس عادة يتعلق بالأموال والبنين فإن الباقيات الصالحات خير ثوابا وخير أملاً؛ عندما تتعلق بها القلوب، ويناط بها الرجاء، ويرتقب المؤمنون نتاجها وثمارها في الدنيا والآخرة.

(ب) طول الأمل في تحصيل العلم والعمل، فمحمود بالإجماع كما في الحديث: عن عبد الله بن بُسر، أن أعرابيًا قال: يا رسول الله من خير الناس؟ قال: «من طال عمره، وحسن عمله» (سنن الترمذي ٢٣٢٩، وهو في صحيح الجامع ٣٢٩٧).

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لئن بقيت إلى قابل لأصومنَّ التاسع». يعني يوم عاشوراء. (صحيح مسلم ١١٣٤)؛ فالحرص على تحصيل العلوم، وتكثير الأعمال، فمستحسن بلا نزاع" (مرقاة المفاتيح ٨/٣٢٩٦).

(٢) الأمل المذموم: قال تعالى: « ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ » (الحجر: ٣)؛ «ذرهم يأكلوا ويتمتعوا»: أي يأكلوا كما تأكل البهائم، ويستمتعوا بدنياهم الفانية، «ويلههم الأمل»: أي يشغلهم الأمل بطول الأجل عن التفكر فيما ينجيهم من عذاب الله «فسوف يعلمون» أي عاقبة أمرهم إذا رأوا القيامة وذاقوا وبال ما صنعوا، وهو وعيد وتهديد. (صفوة التفاسير ٢/٩٨). والمذموم من الأمل هو الاسترسال فيه وعدم الاستعداد لأمر الآخرة. (فتح الباري ١١/٢٣٧).

يا نفسُ قد أزِفَ الرَّحيل
وأظلَّكِ الخَطبُ الجَليل
فتأهّبي يا نفسُ لا
يَلعبْ بكِ الأملُ الطَّويلُ
فلتنزِلنَّ بمنزلٍ
ينسى الخليلُ به الخليلُ
وليركبنَّ عليكِ فيه
منَ الثَّرى ثِقلٌ ثَقيلُ
قُرِنَ الفَناءُ بنا فما
يَبقى العَزيزُ ولا الذَّليلُ

مجموعة القصائد والزهديات (٢/٣٧٦)

ثالثا: القرآن والسنة يزرعان الأمل في القلوب:

(١) في القرآن الكريم: آيات كثيرة تتحدث عن الأمل منها مثلاً: (أ) قال تعالى: «لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا» (الطلاق: ١)؛ قد تتغير الأحوال وتتبدل إلى هناءة ورضى. فقدر الله دائم الحركة، دائم التغيير ودائم الأحداث. والتسليم لأمر الله أولى، والرعاية له أوفق وتقواه ومراقبته فيها الخير يلوح هناك.

(ب) قال تعالى: «لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا» (الطلاق: ٧). فالأمر موكل بالله في الفرج بعد الضيق، واليسر بعد العسر. فأولى لنا إذن أن نعقد الأمر كله لله، وأن نتجه إليه بالأمر كله، وأن نراقبه ونتقيه والأمر كله إليه. وهو المانع المانح القابض الباسط، وبيده الضيق والفرج، والعسر واليسر، والشدة والرخاء.

(٢) في السنة النبوية: أحاديث كثيرة تحدثنا على الأمل منها مثلاً: عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة؛ فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها" "مسند أحمد (١٢٩٨١). صحيح الجامع (١٤٢٤).

من هذا الحديث نتعلم زراعة الأمل والخير في القلوب حتى آخر نفس في حياتنا.

(فسيلة) أي: نخلة قال: (فليغرسها)؟ لأن الإنسان لكونه لا يعمل إلا لأجل هدف، فإنه لا يغرس النخلة عادة إلا ليأكل منها من يأتي من

بعده من أولاده وأحفاده.

رابعاً: مواقف من الهجرة تزرع الأمل:

تعلمنا الهجرةُ في كل فصل من فصولها كيف نزرع الأمل، ونترقب ولادة النور من رحم الظلمة، وخروج الخير من قلب الشر، وانبثاق الفرج من كبد الأزمات. فما بعدَ اشتداد ألم المخاض إلا الولادة، وليس بعد ظلمة الليل إلا انبثاق الفجر قال تعالى: «فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا» (الشرح: ٥، ٦). ولن يغلب عسرٌ يسرين، فابشروا وأمّلوا، ازرعوا الأمل في قلوبكم.

ومن مواقف الهجرة الكثيرة التي تعلمنا الأمل مثلاً:

(١) موقف النبي صلى الله عليه وسلم وسيدنا أبي بكر الصديق في الغار: قال تعالى: «إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (التوبة: ٤٠).

عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُءُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا» (صحيح البخاري ٣٦٥٣، ومسلم ٢٣٨١).

هذا صاحب أعلى أمل ويقين بالله عرفته الأرض، حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي ما ترك سبباً من الأسباب إلا وأخذ به يوم الهجرة، ومع ذلك ضعفت كل هذه الأسباب في لحظة، فالتف المشركون حول الغار بين غمضة عين وانتباهتها، وهنا يقول الصِّدِّيق- رضوان الله عليه- للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله! لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، وهنا يُعلم النبيُ صلى الله عليه وسلم الصديق والأمة من بعده درساً من أغلى دروس الأمل واليقين بالله، فليخرج أبو جهل وليخرج المشركون عن بكرة أبيهم؛ ليقلبوا الحجارة بل ولينقّبوا بين حبات الرمال عن النبي وصاحبه. فورب الكعبة لن يصلوا إليهما أبداً لماذا؟ لقول الحبيب: (إن الله معنا).

(٢) موقف النبي صلى الله عليه وسلم مع سراقة بن مالك:

عن أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَاتَّبَعَنَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ، فَقُلْتُ: أُتِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَارْتَطَمَتْ بِهِ فَرَسُهُ إِلَى بَطْنِهَا فِي جَلَدٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَقَالَ: إِنِّي أُرَاكُمَا قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ، فَادْعُوَا لِي، فَاللَّهُ لَكُمَا أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ، فَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَنَجَا، فَجَعَلَ لَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَالَ: قَدْ كَفَيْتُكُمْ مَا هُنَا، فَلَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا رَدَّهُ، قَالَ: وَوَفَى لَنَا. (صحيح البخاري ٣٦١٥، ومسلم ٢٠٠٩).

لم يفقد رسول الله صلى الله عليه وسلم روح الأمل في أي لحظة من لحظات حياته، حتى في هذه الرحلة الخطيرة، وهو يخرج من مكة بهذه الطريقة، وهو مطلوب لا يأمن على حياته ولا على حياة أصحابه، حتى في هذه الظروف يبشر سراقة ليس فقط بظهور الإسلام على قريش أو على العرب، بل وبسقوط عرش كسرى تحت أقدام المسلمين، وأخذ كنوز كسرى غنيمة: (كأني بك يا سراقة تلبس سواري كسرى). (السيرة النبوية: راغب السرجاني ١٤/١٠).

فحسن اختيار الأصحاب نعمة من الله: قال تعالى: «ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ» (التوبة: ٤٠). والصاحب الصادق الصدوق هو الذي يزرع الأمل والرجاء واليقين والثقة بالله تعالى، ويبعد بصاحبه عن اليأس والحزن. فازرع في قلبك التفاؤل والفرح، واعلم أن الأقدار كلها بيد الله تعالى، ولا تكثر الهم والحزن، فهي أقدار مقسومة وأرزاق مكتوبة.

والحمد لله رب العالمين.

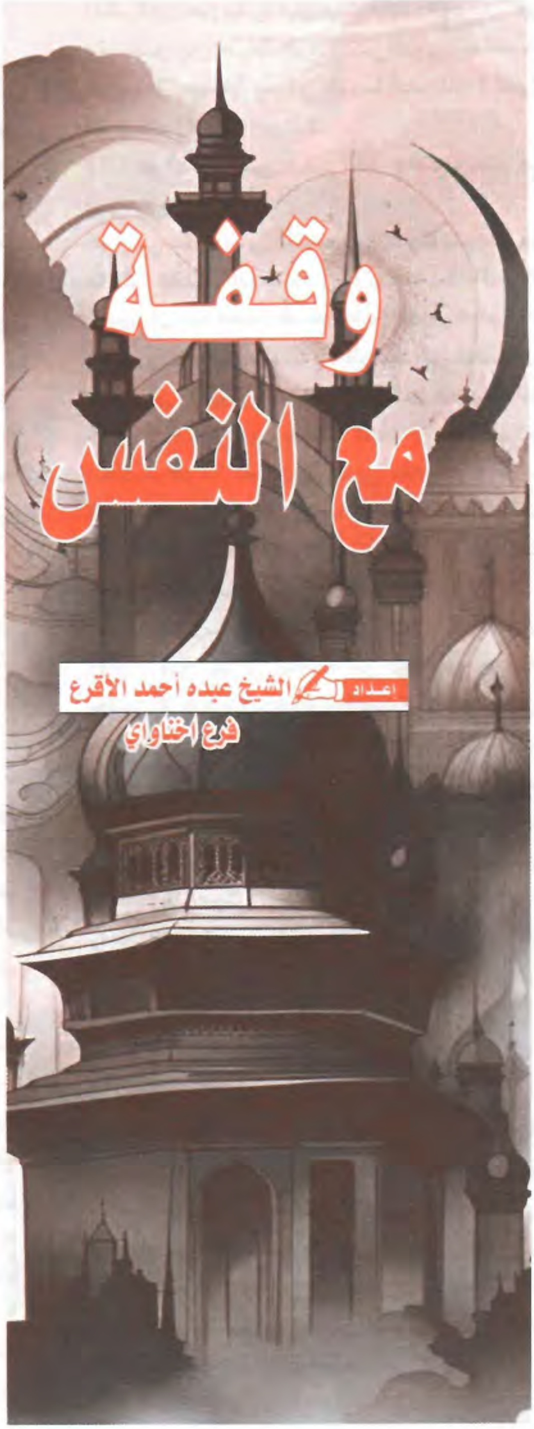

وقفة مع النفس

إعداد **الشيخ عبده أحمد الأقرع**

فرع اختاواي

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى. وبعدُ:

ففي مستهل كل عام هجري، ومع إشراقة كل سنة يتعين على الكيْس اللبيب أن يتذكر أن الليل والنهار يُقرّبان كل بعيد، ويُخلقان كل جديد. قال الله تعالى: «وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا» **(الفرقان: ٦٢).**

وأن يعلم أنه بين مخافتين: أجَل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وأجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه. وفي مطلع العام تُستفتح صفحات بيضاء لا يدري العبد ما يُسطر فيها. يغدو ويروح إلى أجل قد غُيّب عنه علمه. قال الله تعالى: «وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» **(لقمان: ٣٤).**

وفي مراحل العمل وتقلبات الأيام وقفات يحاسب فيها العبد نفسه فيستثقل ذنبه ويستغفر ربه، ويراجع أعماله، فمن الخير يزداد، وعن التقصير أناب، ولا يزال العبد على هدى ما كان له واعظ من نفسه، وكانت المحاسبة همته. فمن راجع نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، فما الأعمال إلا أعوام، وما الأعوام إلا أيام، وما الأيام إلا أنفاس، فحتم على كل ذي عقل آمن بالله واليوم الآخر ألاّ يغفل عن محاسبة نفسه، فإن كل نفَس من أنفاس العمر جوهرةٌ نفيسة لا عوض لها.

إخواني: إنكم في هذه الأيام تودعون عامًا ماضيًا شهيدًا، وتستقبلون عامًا مقبلاً جديدًا، فليت شعري ما أودعتم في العام الماضي، وماذا تستقبلون به العام الجديد. فليحاسب العاقل نفسه، ولينظر في أمره، فإن كان قد فرط في شيء من الواجبات، فليتب إلى الله وليتدارك ما فات، وان كان ظالمًا لنفسه بفعل المعاصي والمحرمات فليقلع عنها قبل حلول الأجل والفوات وتمني الرجعة، ولكن هيهات هيهات.

قال الله تعالى: «حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ

ٱرۡجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ » (المؤمنون: ٩٩، ١٠٠)، وقال الله تبارك وتعالى: «يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ » (الأعراف: ٥٣)، وقال سبحانه: «وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (٢٧) بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ » (الأنعام: ٢٧، ٢٨)، وقال جل وعلا: «وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ » (السجدة: ١٢)، وقال سبحانه: «وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ » (فاطر: ٣٧)، وقال جل شأنه: «قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ » (غافر: ١١)، وقال عز وجل: «وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ » (الشورى: ٤٤).

وقد تضمنت هذه الآيات التي ذكرنا، وأمثالها في القرآن أنهم يسألون الرجعة فلا يُجابون عند حضور الموت، ويوم النشور ووقت عرضهم على الله تعالى، ووقت عرضهم على النار.

ورحم الله من قال: كلنا قد أيقن الموت، وما نرى له مستعدًا، وكلنا قد أيقن بالجنة، وما نرى لها عاملاً، وكلنا قد أيقن النار وما نرى لها خائفًا، فعلام تفرحون؟ وما عسيتم تنتظرون؟ الموت، فهو أول وارد من أمر الله بخير، أو بشرٍّ.

فيا أيها الإخوة: سيروا إلى ربكم سيرًا جميلاً، فيا أيها الغافلون تيقظوا فإليكم يوجَه الخطاب، ويا أيها النائمون انتبهوا قبل أن تُناخ للرحيل الركاب، قبل هجوم هاذم اللذات ومفرق الجماعات، ومشتت الأحباب، فيا له من زائر لا يعوقه عائق ولا يُضرب دونه حجاب، ويا له من نازل، لا يرحم صغيرًا ولا يوقر كبيرًا ولا يخاف عظيمًا ولا يهابُ، إنه جدير بمن الموت مصرعه، والتراب مضجعه، والدود أنيسه، والقبر مقرّه، وبطن الأرض مستقره، والقيامة موعده، والجنة أو النار مورده، أن لا يكون له فكر إلا في الموت، ولا ذكر إلا له، ولا استعداد إلا لأجله، ولا تدبير إلا فيه، ولا تطلع إلا إليه، ولا تأهُب إلا له، ولا تعرج إلا عليه، ولا اهتمام إلا به، ولا انتظار ولا تربص إلا له، وإن بعده ما هو أعظم منه من السؤال والجواب، ووراءه هول البعث والحشر وأحواله، ألا وإن كل ما هو آت قريب، قال الله تعالى: «ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ (١) مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ (٢) لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ » (الأنبياء: ١-٣).

فإن حال البعض إذا ذُكر بالموت وضرورة إلى الاستعداد والتهيؤ له سَوَّف ووعد نفسه، وقال: ما مضى إلا القليل إلى أن تكبر ثم تتوب وتقبل على الطاعة، فلا يزال يُمني ويسوّف من الشباب إلى الكهولة إلى الشيخوخة أو إلى رجوع من السفر أو إلى فراغه من تدبير شئونه أو شئون أولاده، أو نحو ذلك من الأماني التي يتلذذ بذكرها ولا تجدي شيئًا، لكنه يرتاح لها، فلا يزال يُمني نفسه بما يوافق هواها ولا يزال يغالط نفسه في الحقائق ويتوهم البقاء في الدنيا إلى أن يتقرر ذلك عنده ويظن أن الحياة قد صفت له وينسى قول الله تعالى: «حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ » (يونس: ٢٤).

عَنْ عَبْد الله بن مسعود رَضيَ الله عَنْهُ قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا في الْوَسَط خارجًا منْه، وَخَطَّ خُطَطا صغَارًا إلى هَذَا الَّذي في الْوَسَط منْ جَانبه الَّذي في الْوَسَط، وَقَال: «هَذَا الإنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحيطٌ به، أَوْ قَدْ أَحَاطَ به، وَهَذَا الَّذي هُوَ خَارجٌ أَمَلُهُ، وَهَذه الْخُطَطُ الصّغَارُ الأَعْرَاضُ؛ فَإنْ أَخْطَأَهُ هَذا نَهَشَهُ هَذَا، وَإنْ أَخْطَأَهُ هَذا نَهَشَهُ هَذا». (رواه البخاري: ٦٤١٧).

وعن كعب القرظي قال: «إذا أراد الله بعبده خيرًا

زهده في الدنيا، وفقهه في الدين وبصّره بعيوبه، ومن أوتيهن فقد أوتي خيرًا في الدنيا والآخرة». (نضرة النعيم: ٦/٢٢٣٣)، فالموفَّق من يسعى لصالح حاله، يطلب حسن الخاتمة، وينشد الميتة الحسنة ليفوز بما بعدها، ويخشى من سوء الخاتمة وميتة السوء، لشدة ما بعدها وهولها، ولقد جاء في كتاب الله سبحانه التأكيد على أهمية حسن الخاتمة، يقول الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ» (آل عمران: ١٠٢)، ويقول سبحانه: «وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ» (الحجر: ٩٩).

فالأمر بتقوى الله وعبادته مستمر حتى الموت، لتحصل الخاتمة الحسنة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الأعمال بالخواتيم». (رواه البخاري: ٦٦٠٧).

وإذا كان الإنسان لا يدري متى يفجؤه الأجل؟ ولا متى يباغته الموت؟ فإن عليه أن يستعد لهذه اللحظة المفاجئة بالعمل الصالح، والتوبة النصوح، وليخش أن يُحال بينه وبين التوبة وهو لا يشعر فتفوته فيندم حيث لا ينفع الندم.

وقد حذر المولى تبارك وتعالى من ذلك، فقال سبحانه: «إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧) وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» (النساء: ١٧، ١٨).

فجدّ -أخي- في التوبة، وسارع إليها فليس للعبد مستراح إلا تحت شجرة طوبى، ولا للمُحبّ قرار إلا يوم المزيد، فسارع إلى التوبة، وهُبّ من الغفلة، واعلم أن خير أيامك يوم العودة إلى الله عز وجل، فاصدق في ذلك السير، فمن أصلح ما بينه وبين ربه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن صدق في سريرته حسنت علانيته، ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه، والمحاسبة الصادقة ما أورثت عملاً.

إخوتي في الله: من غفل عن نفسه تصرّمت أوقاته، ثم اشتدت عليه حسراته، وأي حسرةٍ على العبد أعظم من أن يكون عمره عليه حُجَة، وتقوده أيامه إلى المزيد من الردى والشقوة.

إن الزمان وتقلباته أنصح المؤدبين، وإن الدهر بقوارعه أفصح المتكلمين، فانتبهوا بإيقاظه، واعتبروا بألفاظه، وحاسبوا أنفسكم من الآن، فمن حاسب نفسه في الدنيا خفّ في القيامة حسابه، وحسن في الآخرة منقلبه، ومن أهمل المحاسبة دامت حسرته وساء مصيره، وما كان شقاء الأشقياء إلا لأنهم كانوا لا يرجون حسابًا، حتى وافتهم المنايا وهم في غمرة ساهون، قال الله تعالى: «إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا (٢٢) لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا (٢٣) لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَآءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا (٢٩) فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا» (النبأ: ٢١-٣٠).

وأما الموفق السعيد الذي امتثل أوامر الله «فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ» (الحاقة: ٢١-٢٤).

فهنيئًا لمن عمل ليوم لا ريب فيه، ووعظ نفسه وذكّرها بهذه الآيات: «قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤) وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ (٥٨) بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٥٩) وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠) وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» (الزمر: ٥٣- ٦١).

اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وارزقنا حسن الخاتمة.

من أخلاق الإسلام

كفّ الأذى عن الخلق

إعداد م/محمد ياسين بدر حسين النجار

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فما يزال حديثنا موصولًا عن أخلاق ديننا... وحديثنا في هذا العدد عن خُلق (كفّ الأذى عن الخلق).

لقد نهانا الله جل وعلا عن أذى الناس عامة وعن أذى عباده المؤمنين خاصة... فقال تعالى: « وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا » (الأحزاب: ٥٨).

وقال جل شأنه: « وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا » (النساء: ١١٢).

وقيل للنَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم: يا رَسول الله، إنَّ فُلانَة يُذكَرُ من كَثرة صَلاتها وصَدقتها وصيامها، غيرَ أنَّها تُؤذي جيرانَها بلسانها؟ قال: هيَ في النَّار. وقيل: يا رَسولَ الله، فإنَّ فُلانَةَ يُذكَرُ من قلَّة صيامها وصَدقتها وصَلاتها، وإنَّها تَتَصدَّقُ بالأَثوار من الأَقط، ولَا تُؤذي جيرانَها بلسانها؟ قال: هيَ في الجنَّة" (مسند أحمد)(ح ٩٦٧٥ وحسنه محققوه).

فلا يكمل إسلام العبد ولا يتم إيمانه إلا بكفّ أذاه عن الخلق.

قال نبينا صلى الله عليه وسلم مستخدمًا أسلوب القصر: "المُسلمُ مَن سَلمَ المُسلمُونَ من لسانه ويَده" (صحيح البخاري)، وقال صلى الله عليه وسلم: «واللهِ لا يُؤمنُ، واللهِ لا يُؤمنُ، واللهِ لا يُؤمنُ، قيلَ: مَن يا رَسولَ اللَّه؟ قالَ: الذي لا يَأْمَنُ جارُهُ بَوائقَهُ» (صحيح البخاري).

وقال صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرمْ ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقلْ خيراً أو ليسكت» (متفق عليه).

ألا وإن من أعظم أذية المؤمنين قتلهم بغير حق.

قال -تعالى-: (مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا) (المائدة:٣٢)، وقال -تعالى-: (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) (النساء:٩٣)، وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً" (رواه البخاري).

واذا كانت هذه حرمة دم المسلم فإن لعنه وهجره وتفسيقه بغير حق كقتله، فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ولعن المؤمن كقتله"، وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر" (متفق عليه).

ومن صور الإيذاء: طيش البعض في قيادتهم للسيارات والمركبات عمومًا، من حيث السرعة

الجنونية، أو تجاوزُ الإشارة الحمراء، ويُعرِّضون الأنفس للخطر والهلاك؛ لذا لما ذكر الله تعالى صفات عباد الرحمن، قال: (وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا) الفرقان: ٦٣.

ومن صور أذية المسلمين: أخذ أموالهم بغير حق؛ قال صلى الله عليه وسلم: "من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة". فقال رجل: وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله؟ فقال: "وإن كان قضيباً من أراك" رواه مسلم.

وثبت في صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن رجالا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة".

ومن صور أذية المسلمين: مكايدتهم وإلحاق الشر بهم واتهامهم بالباطل ورميهم بالزور والبهتان، وتحقيرهم وتصغيرهم وتعييرهم وتنقُّصهم والقدح في عرضهم وغيبتهم وسبِّهم وشتمهم وطعنهم ولعنهم وتهديدهم وترويعهم، وابتزازهم وتتبع عوراتهم ونشر هفواتهم وإرادة إسقاطهم، وفضيحتهم وتكفيرهم وتبديعهم وتفسيقهم، وقتالهم وحمل السلاح عليهم وسلبهم ونهبهم وسرقتهم وغشهم وخداعهم والمكر بهم، ومماطلتهم في حقهم وإيصال الأذى إليهم بأي وجه.

فعن نافع عن ابن عمر-رضي الله عنهما- قال: صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع، فقال: "يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه: لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله".

قال: ونظر ابن عمر يومًا إلى البيت أو إلى الكعبة، فقال: "ما أعظمك وأعظم حرمتك! والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك" (أخرجه الترمذي) وحسنه الألباني ح(٢٠٣٢).

ومن صور الإيذاء: التشويش على المصلين في المساجد برفع الأصوات والمزاحمة والمدافعة وتخطي الرقاب والصلاة في الطرق والممرات وعلى الأبواب وإيذاء المسلمين بالروائح الكريهة والمنتنة.

فعن عبد الله بن بسر-رضي الله عنه- قال: جاء رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب، فقال: "اجلس فقد آذيت" (أخرجه أبو داود وابن ماجه) وصححه الألباني.

وعن أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه- قال: اعتكف النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة، فكشف الستر وقال: "ألا إن كلكم مناج ربَّه، فلا يؤذينَّ بعضُكم بعضًا، ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة" (أخرجه أبو داود) وصححه الألباني.

وعن أبي هريرة-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أكل من هذه الشجرة فلا يقربنَّ مسجدنا ولا يؤذين بريح الثوم"(أخرجه مسلم)، وفي لفظ: "فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم".

ومن صور الإيذاء: إيذاء الرجل زوجته بالجور والظلم والقهر والقسوة والغلظة والحرمان والتهمة والظن والتخوين والشك في غير ريبة، ومعاملتها بالخلق الدنيء واللسان البذيء أو يتركها كالمعلقة؛ لا ذات زوج ولا مطلقة ليحملها على الافتداء ودفع عوض المخالعة ظلماً وعدواناً، أو أن يحرمها أولادها بعد تطليقها إمعاناً في الإساءة والأذى.

ومن صور الإيذاء: إيذاء المرأة زوجها بالمعاندة والمعارضة والمكايدة والاستفزاز وعدم رعاية حقه في المغيب والمشهد.

اللهم إنا نعوذ بك من أن نَضلَّ أو نُضَل أو نَزِلَّ أو نُزَلَّ أو نَظْلم أو نُظْلَم أو نَجْهل أو يُجْهَل علينا، اللهم انفع بنا البلاد والعباد يا رب العالمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

من أساليب التربية

التربية بالتشجيع والتحفيز

إعداد **الشيخ/ عادل شوشة**
فرع المنصورة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فإن قضية التربية قضية من أخطر القضايا على الإطلاق في المنظور الإسلامي، وهي قضية القضايا إن جاز لنا التعبير؛ لأنها تساهم في بناء الأجيال، لذا وجب على المربين أن يعرفوا قدرها وطرق إنجاحها، وأهم ما يساهم في نجاح العملية التربوية إتقان المربي لأساليب التربية.

لذا نشير فيما يلي إلى أسلوب من أهم أساليب التربية التي ينبغي أن تتبع وهو أسلوب:

التربية بالتشجيع والتحفيز:

التشجيع سبب النمو والازدهار؛ إذ به تبرز المواهب، وهو أمر مندوب في الشرع استخدمه النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه رضوان الله عليهم، وآثاره ملموسة مشاهدة أمام كل من يستخدمه، ونتائجه أكثر من العمل بدون تشجيع. (انظر: محو الأمية التربوية للدكتور المقدم ١/٦).

قال الله تعالى: «وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ» (النساء:٨٤)، والتحريض هو نوع من أنواع التشجيع.

أثر البيئة المشجعة على الشخص:

لو تأملنا ثناء رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابن عمر وهو غلام، وتشجيعه عن طريق الثناء عليه بقوله له "نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ"، لوجدنا أنه أثمر استقامته على قيام الليل بعد ذلك، فكان عبد الله بن عمر منذ أن قال النبي صلى الله عليه وسلم هذه المقالة لا ينام من الليل إلا قليلاً. (البخاري: ١١٥٦).

في القرن السادس عشر قامت محاولة ناجحة في عهد الخلافة العثمانية لتجميع النابغين من جميع الأمصار والقرى، وتوفير الرعاية التي جعلت كل نابغة يعطي ما عنده من فن وعلم، مما ساعد على ازدهار الدولة العثمانية حضارياً وعسكرياً حتى صارت تهدد بغزو أوروبا.

يقول الشيخ علي الطنطاوي-رحمه الله تعالى-: قرأت مرة أن مجلة إنكليزية كبيرة سألت الأدباء عن الأمر الذي يتوقف عليه نمو العلوم وازدهار الآداب؟ وجعلت لمن يحسن الجواب جائزة قيمة، فكانت الجائزة لكاتبة مشهورة قالت: إنه التشجيع، وقالت: إنها في تلك السن-بعد تلك الشهرة والمكانة- تدفعها كلمة التشجيع لتمضي إلى الأمام، وتقعد بها كلمة التثبيط عن المسير، أي: مهما بلغ الإنسان من مكانة في علم أو عمل أو نحو ذلك، فإن كلمة التشجيع لها أثرها الطيب عليه.

عامة الخلق جُبلوا على حب التشجيع:

إن عامة الخلق جُبلوا على حب الثناء والتأثر

والسعادة به، حتى إن مدربي الحيوانات يقومون بتدليل ومكافأة الحيوانات التي يرعونها بتقديم الحلوى أو أي شيء تحبه اعترافا وثناء على طاعتها لهم، وكذلك الأطفال يشعرون بالمرح والسرور عندما يُثنى عليهم ويُمدحون، حتى يقال: إن القدرة نفسها تنمو بصورة أفضل لأولئك الذين يعشقونها، فالثناء والتشجيع يعطي المرء طاقة وحيوية، خاصة إذا تلقى هذا الثناء من إنسان يعرفه أو يعبر له عن شكره بما قام به من عمل؛ فيشعر بالرضا والانبساط.

اخترع الدكتور هنري بوذرد الذي كان يعمل مدرسا في إحدى المدارس في (نيوجرسي)، جهازاً لقياس الإعياء والتعب، وكان الأطفال هم موضع الاختبار، وعندما كانوا يتلقون كلمات الثناء والإعجاب والتشجيع كان يظهر الجهاز ارتفاعا مفاجئا يعبر عنه بوجود طاقة إضافية، وكانت طاقتهم تزداد بمجرد أن يسمعوا هذه الكلمات، وعندما كانوا يتعرضون للنقد واللوم والتوبيخ كانت تندفع طاقتهم الجسمانية إلى الهبوط بصورة مفاجئة، ورغم عجز العلم عن تفسير قوة الثناء بدليل مادي أو حسي إلا أنه استطاع أن يقوم بقياس أثر الثناء والتشجيع على طاقة الإنتاج. (انظر: محو الأمية التربوية للدكتور المقدم ٦/٧).

صور التربية بالتشجيع والتحفيز:

١- الثناء على فعل الطفل:

ومنه ثناء الرسول صلى الله عليه وسلم على ابن مسعود بقوله له: (إنكَ غُلامٌ مُعَلَّمٌ) (صحيح: ابن حبان (٦٥٠٤) (انظر: الروض النضير: ٦٥٢).

٢- الدعاء له:

كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع ابْن عبَّاس حين دخل النبي صلى الله عليه وسلم الخلاء ولما خرج وجد ابن عباس رضي الله عنهما وضع له وضوءا، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ فقِّهْهُ في الدِّين». (البخاري ١٤٣).

٣- اصطحابهم إلى مجالس العلم:

عَن ابْن عبَّاس رضي الله عنهما قالَ: كانَ عُمَرُ يُدْخِلُني مَعَ أشْياخ بدْر، فقال بعْضُهُمْ: لِمَ تُدْخِل هذا الفتى معنا ولنا أبْناءٌ مثلُه؟ فقال: إنَّه ممَّنْ قدْ علمْتُم، قال: فدعاهُمْ ذات يوْم ودعاني معهُمْ، قال: وما رُؤيتُه دعاني يوْمئذ إلاَّ ليُريهُمْ مني، فقال: ما تقولون: «إذا جاء نصْرُ الله والفتْحُ (١) ورأيْتَ النَّاس يدْخُلون»، حتَّى ختم السُّورة، فقال بعْضُهُمْ: أمرنا أنْ نحْمد الله ونسْتغْفرهُ إذا نُصرْنا وفتح عليْنا، وقال بعْضُهُمْ: لا ندْري، أوْ لمْ يقلْ بعْضُهُمْ شيْئًا، فقال لي: يا ابْن عبَّاس، أكذاك تقولُ؟ قُلْتُ: لا، قال: فما تقولُ؟ قُلْتُ: هُو أجلُ رسُول الله صلى الله عليْه وسلَّم أعْلمهُ اللهُ لهُ: «إذا جاء نصْرُ الله والفتْحُ»، فتْحُ مكَّة، فذاك علامةُ أجلك: «فسبِّحْ بحمْد ربِّك واسْتغْفرْهُ إنَّهُ كان توَّابًا» قال عُمرُ: ما أعْلمُ منْها إلاَّ ما تعْلمُ. (البخاري: ٤٢٩٤).

٤- دفعهم إلى الشجاعة في قول الحق:

عَنْ عبْد الله بْن عُمر: أنَّ رسُول الله صلَّى الله عليْه وسلَّم قال: إنَّ من الشَّجر شجرةً لا يسْقطُ ورقُها، وهي مثلُ المُسْلم، حدِّثوني ما هي؟ فوقع النَّاسُ في شجر البادية، ووقع في نفْسي أنَّها النَّخْلةُ، قال عبْدُ الله: فاسْتحْييْتُ، فقالوا: يا رسُول الله، أخْبرْنا بها، فقال رسُولُ الله صلَّى الله عليْه وسلَّم: هي النَّخْلةُ، قال عبْدُ الله: فحدَّثْتُ أبي بما وقع في نفْسي فقال: لأنْ تكون قُلْتها أحبُّ إليَّ منْ أنْ يكون لي كذا وكذا. (البخاري ١٣١).

وينبغي أن يراقب الأب ولده بعد تشجيعه والثناء عليه، وهل أورثته صور التشجيع وأوجه الثناء إقدامه على الخير مع التواضع وخشية الله، أم أنها أورثته غرورا وتباهيا وتطاولا على الآخرين؟!! ويقدم للابن دائما النافع الذي يقربه من الله ويقربه من الخير فانظر إلى حُبِّ عمر لتفوق ولده وتمنيه لو كان أجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي هذا القدر الكفاية، والحمد لله رب العالمين.

علم نافع لايستغني
عنها البيت المسلم

التوحيد

التوحيد
وقفات شرعية مع أحداث الثورة المصرية
شر البلية تشيخ الصحفية !!
عام يرتحل ... وصحائف تطوى !!
أنصار السنة المحمدية والانتخابات
الفتنة المقنعة
يا دعاة الأمة: الزموا السنة على منهاج النبوة

يسر مجلة التوحيد الإعلان عن عودة خدمة الاشتراكات الخاصة بالأفراد والمؤسسات ، على أن يكون سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنويًا.

☎ للتواصل :واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢

التوحيد
١٤٤٣

صدر حديثاً

المجلد الجديد

بمقر مجلة التوحيد

١٢٠٠ جنيه

سعر الكرتونة بدلاً من

~~١٥٠٠~~ جنيه

لفترة محدودة

يوجد مجلدات السنوات القديمة

سعر المجلد **٢٥** جنيه

بدلاً من **٥٠** جنيه

حتي عام ١٤٣٩ هـ

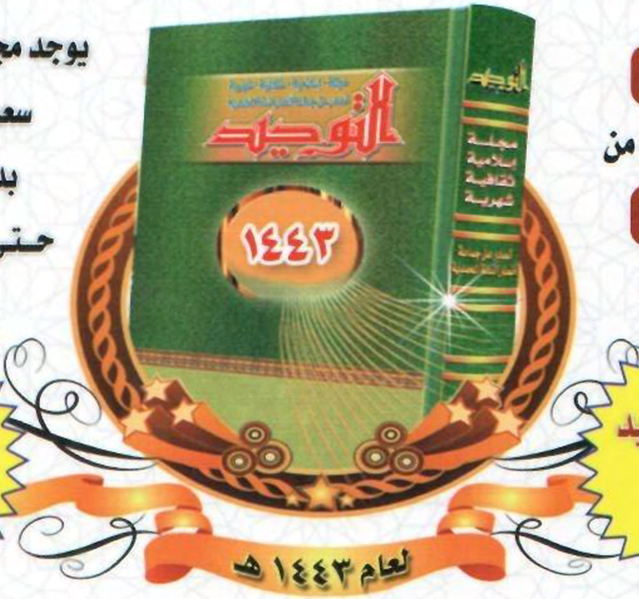

سعر المجلد الجديد

١٠٠ جنيه

هدايا قيمة

لأول ١٠٠ مشتر

الآن أصبحت 51 مجلداً من الموسوعة

للحصول على المجلدات والكرتونة الاتصال على قسم التوزيع

☎ واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢